تحولات جائحة كورونا وتأثيرها المجتمعى:
مقاربة نظرية لرأسمالية الكوارث ونيوليبرالية الوبائيات

د عليِّ الدين عبد البديع القصبي*

alieldin2004@yahoo.fr

ملخص

تنطلق الدراسة الحالية من مقاربة نظرية « لرأسمالية الكوارث؛ ونيوليبرالية الوبائيات». وتتحدد قضيتها المحورية في استطلاع مسلمة فكرية ومقولة تحليلية مفادها: أيهما ذو أولوية، وما الذي يجب أن يأتي في المقام الأول:«الاقتصاد أم المجتمع؟» في سياق « تحولات جائحة كورونا وتأثيرها المجتمعي».إذ تحاول أن تستشرف ملامح ذلك، وتوفق بين المعادلتين: «الصحية المجتمعية والاقتصادية المادية» وتقارب الجرثومة كفاعلاً اجتماعياً. استندت الدراسة على عده أساليب منهجية هي:«منهج الاستشراف»، و«منهج إعادة التحليل» بالاعتماد على «التحليل الثانوي» لبيانات توافرت من دراسات سابقة ذات الصلة بـ «ظاهرة الكورونا».وبصورة مجملة أكدت نتائج الدراسة عدم صحة فرضياتها التي طرحتها، حيث جاءت جائحة كورنا لتضع الأسبقية للمجتمع والأرواح قبل الاقتصاد وحسابات الأرباح. والخلاصة: أن «الاقتصاد والمجتمع» يخسران ويربحان معاً معركة جائحة كورونا مآلاتها وتحولاتها.

كلمات مفتاحية: تحولات جائحة كورونا، التأثير المجتمعي، رأسمالية الكوارث، نيوليبرالية الوبائيات.

(١):المدخل إلى قضية الدراسة:

مرحلة حياتية فارقة هشة وكئيبَة تعيشها البشرية الآن، وكأنها قدراً بيولوجياً وفيزيولوجياً وسوسيولوجياً وسياسياً واقتصادياً محتوماً، وحالة لنزاع غريزة البقاء

* مدرس علم الاجتماع كلية الآداب جامعة جنوب الوادي.

والحياة من مذاق العدم والفناء. لقد استطاعت فيروسة صغيرة من أشكال الحياة الطفيلية تُسمى « كورونا Corona»، لا يمكن رويتها بالعين المجردة لكنها تتيح عادةً رؤيةَ الأعراض والأمراض الناجمة –عنها:«فيروس كورونا المستجد new Corona Virus» أو «كوفيد ٢٠١٩ COVID–19» – أن تُغيّر وجه العالم بكامله في فترة زمنية وجيزة، حيث أبطأت دوران حركة الحياة اليومية للشعوب، وبَدَّلَتْ أَنْمَاطَ معيشاتها، وأَخْضَعَتْ مليارات من البشر في منازلهم طوعاً في حجر اجتماعى إجبارى، وملايين أخرى لحظر التجول، واستنفرت الطاقات والهمم، وأجبرت دولاً كبرى وقوى عظمى على الانطواء على ذاتها، ولم تفلح خزائن أسلحة الدمار الشامل التى تملكها من توقع مواجهة أخطارها الفتاكة على صحة الأفراد وأنساق المجتمعات كالاقتصاد والسياسة والدين والأسرة والقيم.. إلخ، وتخطت وعبرت واستهدفت الأجهزة التنفسية والرئوية للإنسانية جمعاء.لقد أثبتت تلك«الجائحة Pandemic» فشل الاكتشافات العلمية الطبية والأنظمة الصحية والإمكانات الاقتصادية. بل وأعلنت غياب التضامن الدولي وموت التحالفات السياسية، كما أماطت الأزمة اللثام عن بنية النظام العالمي النيوليبرالي وفضحت هشاشته وعدم إنسانيته. والسؤال الهام الذي يلح علينا طرحه الآن هو:هل يصبح عام كورونا(٢٠٢٠م) بداية لمرحلة عالمية جديدة أكثر إنسانية عن ذي قبل؟.

لقد كشفت اللحظة التاريخية المصاحبة للقلق الوجودي لجائحة كورونا بجلاء عن وحشية رأسمالية الكوارث، بعدما فضلوا منتسبيها بقبح مراكمة الثروة ومبادلة الأرباح بأرواح البشر، فالإنسان في تصورهم مجرد وسيلة لإنتاج فائض القيمة وليس عبئ وعالة يستحق الرعاية والخدمة الصحية. وهنا تجد مقولة السوسيولوجي الفرنسي«مشيل مافيزولي Meshel Mavisoli» مشروعيتها حينما

قارب بين أزمة الكورونا أو ما أسماه:«العودة الكبرى للتراجيديا»، والتى يُقصد بها: مآلات تنتظر البشرية من تحولاتٍ تفشى جائحة كورونا، وانحسار فيروس رأسمالية الكوارث وليبرالية الوبائيات.

وتكاد تتفق معظم التحليلات على أن أية مقاربة سوسيو اقتصادية جادة لتحولات جائحة كورونا، لا يمكن أن تتجاهل قضية الاقتصاد وعلاقته الارتباطية بالمجتمع، ذلك أن أخطر إفرازات مرحلة كورونا تدور بشكل أساسي حول: معضلة الحسابات البراجماتية والجدل بين خيارات صعبة تجابه صانعى القرار فيما يتعلق بمعادله معقدة:«الحفاظ على صحة المجتمع مقابل إعادة فتح الاقتصاد»، أي رهان بين مدى أسبقية المجتمع على الاقتصاد، في ضوء منطق يؤمن بالشعار الإنساني:«الأرواح قبل الأرباح»– فمصلحة البشر تقتضى تطبيق إجراءات احترازية مشددة كتعطيل أنشطة الأعمال والدراسة، والامتناع عن المخالطة الاجتماعية وفرض سياسات العزل الإجبارى وضع الكمامات كتدابير ضرورية ترسخ لسلوك الوقاية والمسؤولية الذاتية حتى لا يسهل انتقال الفيروس، وحماية للمجتمع. وعلى صعيد آخر لطرفى المعادلة المعاكس وهو:«مَنْحُ أولوية للاقتصاد عن المجتمع»، بتبنى الشعار الرأسمالي المتوحش:«الأرباح قبل الأرواح»، فمصلحة الاقتصاد تقتضى فتحه ولو تدريجياً لوقف النزف المؤلم في الخسائر، وتفضيل استراتجية «مناعة القطيع Herd Immunity» والموت عن الإضرار بالاقتصاد برفع الحجر والعودة بالعمل والحياة الطبيعية نظراً للاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية الملحة ولتحقيق التوازن بين الأهداف الوبائية والغايات الاقتصادية، وهنا تجدر الإشارة إلى النقطة الجوهرية التى ينبغى أن يولى لها «علم الاجتماع الاقتصادى» نصيباً موفوراً من الاهتمام، نظراً لحيويتها وحداثة

موضوعاتها وما تمثله من حقلٍ معرفيٍ بكرٍ وجذابٍ جديرٍ بالتناول ينبغى اقتحامه لكشف سُبل أغواره.

وتأسيساً على ما سبق، وانطلاقاً من مقاربة نظرية« لرأسمالية الكوارث؛ ونيوليبرالية الوبائيات».تتحدد قضية الدراسة الراهنة في استطلاع مسلمة فكرية ومقولة تحليلية مفادها: أيهما ذو أولوية، وما الذي يجب أن يأتي في المقام الأول:«الاقتصاد أم المجتمع؟» في سياق «تحولات جائحة كورونا وتأثيرها المجتمعي».

(٢): أهداف الدراسة وتساؤلاتها:

ويمكن ترجمة هذا الهدف العام في صورة تساؤل رئيسي مؤداه: كيف يمكن عبر مقاربة نظرية «لرأسمالية الكوارث؛ ونيوليبرالية الوبائيات» فهم أولوية وأسبقية:«الاقتصاد أم المجتمع»، في سياق « تحولات جائحة كورونا وتأثيرها المجتمعي»؟.ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس، تساؤلات فرعية أخرى تسعى الدراسة إلى تقديم إجابات كافية حولها وهى:

(أ): كيف يمكن فهم طبيعة جائحة كورونا كجرثومة ومقاربتها في ضوء أدبيات سوسيولوجيا الوباء، باعتبارها فاعلاً اجتماعياً؟.

(ب): ما تجليات تحولات جائحة كورونا وما تفرزه من قضايا مجتمعية ملحة واحتمالية تطورها في بعدها المستقبلى التنبوئى؟.

(ج): هل يمكن بناءً على مقاربةِ «رأسماليةِ الكوارث؛ ونيوليبرالية الوبائيات» القول بفرضية:أن «الاقتصاد» قد يسبق«المجتمع» فى سياق تحولات جائحة كورونا وتأثيرها المجتمعي؟.

(٣): مفاهيم الدراسة الأساسية:

(أ): مفهوم جائحة كورونا:

بداية، مفهوم« فيروس» أو« حُمَّة» مشتق من الأصل اللاتيني «Virus». ومن الأحرى بنا تبيان مفهوم «فيروس كورونا» لغوياً، فهو معرب من الكلمة الانجليزية «Corona Virus» (اختصار VCo)، وتعنى إكليل زهور، التاج أو الهالة (سعيد ،٢٠٢٠: ١٣)، وهى دلالة تنصرف إلى فصيلة فيروسية معدية مستجدة واسعة الانتشار لم يَسْبِقْ اكتشافها لدى البشر. ويُقَرِّبُنا هذا الفهم من إمكان وصف «فيروس كورونا» بأنه:« فيروس تاجي» صغيرة الحجم يبلغ طوله (١٢٠) نانو متراً، لا يمكن رؤيته إلا بعدسات المجهر الإلكترونى، وهو ليس بالكائن الحى، بل هو حمض نووى تدب فيه الحياة عندما يدخل جسم الإنسان ويخترق خلايا الرئة (هلال ،٢٠٢٠: ١٢٢)،مستهدفاً الجهاز التنفسي بالاستحواذ على كمية الأكسجين ليصبح كائن حى يعيش ويتكاثر، ومدة حضانته من(٧ – ١٤ يوم)، يهدد الشخص المصاب بالموت، وينتشر عن طريق القطيرات الصغيرة التى تتناثر من الأنف أو الفم، وتظهر أعراضه في شكل سعالٍ جافٍ وصعوبات في التَنَفُّسِ وحمى شديدة وإعياء عام في الجسد.

ولفظة «الجائحة» من حيث اللغة أيضاً، فهى: من جوح والجوح، الاستئصال من الاجتياح، يقال جاحتهم السنة جوحاً وجياحة واجاحتهم، استأصلت أموالهم وهي تجوحهم جوحاً وجياحة وهي سنة جدبة، وهي أيضاً النازلة العظيمة التي تذهب المال كله أو بعضه وهي كل مالا يستطاع دفعه سواء أكان بفعل الآدميين أم آفة سماوية. وتختلف مسبباتها من جهة، ونوعية القطاعات التى

تنزل بها من جهة ثانية. والإنسان نفسه معرض لمثل إبتلاءات هذه الجوائح، التى اصطلح على تسميتها بالأوبئة والأمراض. «فالجائحة pandemic»: تشير إلى الوباء المستجد المنتشر المتجاوز للحدود الدولية وعادة ما يصاب كثير من الناس(نبيلة ،٢٠٢٠: ٣٦٣- ٣٦٤).

وفي سياق تعهد عِلم الاجتماع بدراسة الظواهر الجائحة، أمكن القول بأن «جائحة كورونا» ليست مجرد واقعة عابرة، لأن أثرها يستشرى ويمس كل أفراد المجتمع، وهى تفعل فعلتها في كل مناحى الحياة الاجتماعية، وإنها تفرض تغييراً جذرياً في كيفيات عقد الصلة الاجتماعية بين الأفراد والمؤسسات والمجموعات، في طرق التصرف والقول والفعل ومنطق التدبير اليومى، وصولاً إلى آثار اقتصادية وسياسية وأخلاقية لا تزال تُخُومِها غير قابلة للحصر(السعيدانى، ٢٠٢٠: ٢٩).

ومن جهتها حددت «منظمة الصحة العالمية WHO» بشكلٍ إجرائيٍ رسميٍ تفشي فيروس كورونا بوصفه «جائحة عالمية» في الحادى عشر من مارس(٢٠٢٠م)، وبالتالي يختلف عن «الوباء Epidemic»،الذى ينتشر في منطقة جغرافية كبيرة ومحصورة في دولة واحدة أو عدد قليل من الدول، بينما في «حالة الجائحة» تعني انتشاراً عالمياً سريعاً لتفشى العدوى واتساع نطاقها شاملاً بلداً بأكملة، أوعدة بلدان عبر أكثر من قارة عبر العالم، وهو ما نشهده الآن (منظمة الصحة العالمية:٢٠١٩)،مما يستدعى ضرورة الاستعداد «لزمن الجوائح» بالمتابعة والدراسةعن كثب.

(ب): مفهوم تحولات جائحة كورونا:

يُقصد بمفهوم « تحولات جائحة كورونا Corona Virus Pandemic Transformations»: التغيرات والمآلات الهيكلية التى من المتوقع أن تطرأ على النواحى المجتمعية(الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية والبيئية)، وتأثيراتها سواءً فى الأمد القصير أو البعيد والناجمة عن عوامل متداخلة ومتفاعلة مع بعضها البعض، ارتبطت بصورةٍ جدليةٍ ومباشرةٍ بأزمةِ جائحةِ كورونا وانتشارها كوباءٍ عالمي وتبعاتِها المُدَمِّرَة كصدمةٍ صحيةٍ واجتماعية واقتصاديةٍ ماليةٍ فى القرن الحادى والعشرين، عَجَّلَت من تسريع التحولات الجارية التي قد تُشَكِّلُ ملامح آفاق مستقبلية ممكنة للحياة على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي المصري.

(ج): مفهوم رأسمالية الكوارث:

تتبنى الدراسة الراهنة تعريفاً محدداً « لرأسمالية الكوارث Disaster Capitalism» صاغة مجموعة من الباحثين مثل:« نعومى كلاين Naomi Klein»، و«أنتونى لوينشتاين Anthony Lowenstein».ويراد بهذا المفهوم، أن برامج الخصخصةPrivatization وتخفيف الرقابة الحكومية أو إلغاءها والاستقطاعات العميقة في الإنفاق الاجتماعى غالباً ما تُفْرَضُ بعد وقوع «كوارث ضخمة»(لوينشتاين، ٢٠١٩: ١٨) خانقة، أو بالآحرى افتعال «صدمات» (جوائح) واستثمارها بهدف مراكمة الثروات وجنى الأرباح حيث يتعرض المجتمع لمآسى تسهم في محو ذكريات قاطنيه خلال فترات العلاج والتعافى، ومن ثم تُفْرَضُ جبراً إملاءات اقتصادية واجتماعية كنوافذ للفرص تفاقم الاستقطاب. وعليه، فأن« كورونا» كجرثومة لا مثيل لها في تاريخ البشرية فهى عقيدة

الصدمة المثلى لـ« لرأسمالية الكوارث».

(د): مفهوم نيوليبرالية الوبائيات:

ويُقصد بـ« نيوليبرالية الوبائيات Epidemic Neoliberalism» العلاقة التأثيرية بين أتباع تدابير نيوليبرالية براجماتية تنحصر في تغليب المصلحة على الحق في الحياة، وتنامى أزمة انتشار الوبائيات الفاتكة كجائحة كورونا كنتاج لتسليع الجسد واستبدال الاقتصاد الإنسانى بالخصخصة وتقليص مخصصات الصحة في ظل تنامى قطاعات شعبية هائلة العدد تقبع خارج مظلة التأمين، وبالتركيز على «مناعة القطيع» كطريقة مثلى للتغلب على وباء كورونا بإطلاق العنان لِجِينُوم الفيروس كى ينتشر في الاجساد ويأخذ مداه قبل أن ينحسر من تلقاء ذاته، مما يمثل عنفاً منهجياً مُأَسَّساً تجاه المستضعفين من ذوى الظروف الصحية القاسية وهم أكثر عرضة للوفاة.

(٤): الأساليب المنهجية ومحاور التناول:

اعتمدت الدراسة المكتبية الراهنة على عدة أساليب منهجية هي:«منهج الاستشراف Forecasting Method» وهو امتداد طبيعي لمناهج علم الاجتماع وبقية العلوم مع تميز الدراسات المستقبلية بقدرة على دمج المناهج والاستفادة النظرية من النتائج البحثية(علوط ،٢٠١٧: ٢١٧)، و«منهج إعادة التحليل Re-Analysis Approach» بالاعتماد على «التحليل الثانوي Secondary Analysis» لبيانات نادرة توافرت من دراساتٍ سابقة وتقييمها وفق منظور سوسيولوجي، تم توظيفها وأُعيد تحليلها وتركيبها للوفاء بتغطية الغاية المثارة.وعليه، نقدم على نحو تجميعي وتركيبي وتحليلي إطلالة على ملامح

حاضر جائحة كورونا واستشراف مسار تحولاتها.

وفي ضوء ما سبق، فان الدراسة الراهنة تدور في فلك جملة من المحاور هي: أولاً: جائحة كورونا: الجرثومة فاعلاً اجتماعياً: مقاربة في سوسيولوجيا الوباء. ثانياً:تجليات تحولات جائحة كورونا: القضايا المجتمعية الملحة. ثالثاً: حوار وجدل سوسيو اقتصادي لرأسمالية الكوارث ونيوليبرالية الوبائيات للألوية الاقتصاد أم المجتمع في سياق تحولات جائحة كورونا. الخاتمة والإستخلاصات العامة والخاصة والدلالات النظرية والتطبيقية للنتائج.

أولاً:جائحة كورونا: الجرثومة فاعلاً اجتماعياً: مقاربة في سوسيولوجيا الوباء:

لو تساءلنا عما يحدث من حولنا ولما يحدث، لاجتهد كثيرون في تقديم الإجابة المقنعة وغير المقنعة، وعندما يتعرض عِلم من العلوم لمآل الإحداث فإنه يحاول تقديم التبريرات والتفسيرات لما يحدث، وهذا حال علم الاجتماع الذي يجتهد بالبينة لتقديم إجابات تتعلق بمواقف الحياة اليومية (طربية، ٢٠١١: ٧). إن فهم التحولات المجتمعية الراهنة لا يكون متاحاً إلا بممارسة سوسيولوجية متأنية، ولهذا فإن علم الاجتماع أصبح اليوم ضرورة ملحة لفهم واقع مجتمعات الجوائح وقراءة تحولاتها المتسارعة.

ولعل أفضل إطار تصورى سوسيولوجى يُمكن اعتماده لفهم الصلة الاجتماعية لوباء كورونا، هو الإطار الذي طوره « فيليب سترونج Philip Strong»، حين اكتشف أن الوباء الناجم عن فيروس نقص المناعة(HIV) في ثمانينيات القرن الماضي مرتبط بالديناميات والنظام الاجتماعي للمجتمعات. ويقترح «سترونج» إجراء دراسةً اجتماعيةً للاستجابات المجتمعية للتهديد الوبائي (Al-Basam,2020). ولقد بَنَى هذه الآراء السوسيولوجية اعتماداً على رؤى

إبستمولوجية وخبراتٍ تطبيقيةٍ تَوَصَّلَ إليها «لويس باستور Louis Pasteur» من خلال: «نظرية الجرثومة Germ Theory». ومن ثَمَّ نعرض هنا للديالوج السوسيولوجى التالي على لسان حال «سترونج»:«هناك نوع من الخطر الإبستمولوجى وهو لا ينبغي على مواضيع علوم الطبيعة أن تخضع للتحليل السوسيولوجي. وهذا ما قمنا بعمله على وجه الدقة. ماذا يعنى ذلك؟ لنعد إلى حالة « باستور». ماذا كان يفعل في المختبر؟ هي مواد أكثر أهمية من التفسيرات الاجتماعية أو الدينية أو السيكولوجية التي يمكن أن تعطى لها (للمواد). كان يظهر للعيان «فاعلين جدد New Actors»، قادرين على تحريض عددٍ كبيرٍ جداً من التصرفات عند البشر: مثل تمضية الإجازات «في الهواء النقي»، النوم والنوافذ مفتوحة، تنظيف الأسنان بالفرشاة، عدم إعارة الغليون «البايب Byte»، وعزل المرضى، ونحن هنا لا نتكلم عن الأفعال الاعتيادية. هؤلاء الفاعلون هم جراثيم لم يكن لها قبل «باستور» وجود هام بالنسبة للبشر، لماذا لا نقبل بأننا نعيش مع جراثيم «باستور»؟، لا يجد الإثنولوجيون مشقة كبيرة حين يكتبون بأن «البدائيين» يعيشون مع أسلافهم. فلماذا لم يقبل علماء الاجتماع بأن الجراثيم كما وصفها «باستور» تشكل جزءاً من مجتمعنا؟ وإذا ما تم قبول الجراثيم. يجب أن نَقْبَلَ أيضاً أدوات مكافحتها. في السوسيولوجيا نَقْبَلُ وجود كائنات مجردة. مثل المعايير والقيم والمعتقدات. من يَعْرِفُ بدقة عما نتكلم حين نقول ذلك؟ بالنسبة للجراثيم فهي ما زالت متزايدة الحضور. ولا تتوقف عن الظهور والتمرد» (كابان؛ ودورتيه،٢٠١٠: ٣٣٨).

وإذا ما أمعنا النظر في التحليلات الهامة التي ساقها عالِم الاجتماع الفرنسي « برونو لاتور Bruno Latour»، في مؤلّفة:«الحياة في المختبر(١٩٩٦م)»،-

بناءً على خبرة خاضها لإجراء دراسة مختبريه إثنوغرافية، بالتعاون مع عالِم الاجتماع الإنجليزي للعلوم «ستيف وولجار Steve Woolgar»– لاحظنا أنها تنطوي على وقائع هامة، تدعوا إلى ضرورة أن تتناول السوسيولوجيا المعاصرة «كائنات غير بشرية»، مثل الأشياء المحيطة بنا والمتحكِّمة فينا والفاعلة في بيئتنا (Latour & Woolgar, 1996). ويتبادر إلى الذهن هنا «العوامل الجرثومية الممرضة» والمسببة «للوباء» الذي يُفضي إلى حالة الانفجار أو الظاهرة الجمعية لأحد الأمراض السارية (عبدالنور، ١٩٩٧: ٣٣)، والمؤذيات من العدوى التي تحملها وتتنقلها كائنات دقيقة وخفية من أشكال الحياة الطفيلية «الفيروسات»، وتترك آثارها على الأشياء «كالجسد» دون أن تُرَى بالعين المجردة، ولكنها تتيح رؤية أعراض خاصة تدل على الإصابة والاعتلال في الواقع الحياتي المُعاش.

ويستطيع العلماء الاجتماعيون اقتطاع مساحة تأييدية مميزة، يمكن تسميتها بمفاهيم وتصورات خاصة بهم، تم تحديدها ضمناً كحقل للتفاعل بين الفيروس والبشر. وبالتالي سيكون العمل الرائد للمُنَظِّرين السوسيولوجين أمثال «برونو لاتور Bruno Latour» و«ميشيل كالون Michelle Calone»،الذين أثبتوا الحاجة الماسة إلى ضرورة إشراك الجهات الفاعلة غيرالبشرية بشكلٍ كاملٍ في تحليلنا للمجتمعات والاقتصاديات، لما تمثله من قيمة خاصة في السنوات القادمة (Filho,2020).

واستناداً إلى مسلمات هذا الإطار التصوري نسعى هنا إلى مناقشة علاقة انتشار الأوبئة كمرض بسوسيولوجيا بنية المجتمعات الإنسانية. فإذا كانت السوسيولوجيا تهتم بالسلوكيات الاجتماعية الملموسة والأفعال المتبادل، فإن

الجسد كحياة سواء مُرْسِلاً أو مُسْتَقْبِلاً دائماً ما يكون حاضراً هنا في قلب الموقف التفاعلي الذي صنعة السياق الاجتماعي والثقافي السائد. وانطلاقاً من فكرة «الجسد البشرى» (العليل أو المُعَرَّض) للإصابة بفيروس «الكورونا»، والذي أصبح هدراً عضوّياً ومساحة للعدوى مفتوحاً لهجومِ سهام الوباء الفتاك والكاسح من الخارج دوماً حيث تلاشت الفواصل والحواجز بين الإنسان والفيروسات (الجائحات). وعندها مَثَّلَ الجسد نقطة تَمَفْصُّل بين التحديات الطبيعية والاجتماعية، ومن هنا نستطيع فهم طبيعة الفيروسات وديناميكاتها كفواعل اجتماعية ودلالتها بالنسبة للسلوكيات، وتمثيلاتها في ذهنية الأفراد والمجتمعات، وجسيماتها الحية متناهية الصغر وعلاقتها التفاعلية والتشابكية بالجسد الانسانى في سياق حياتنا اليومية، ومن ثم ينبغي إدراجها على رأس أولويات الأجندة السوسيولوجية المعاصرة، فهي تتطلب تمعن وتفسير اجتماعي رصين فيما أحدثته من صدمة وعيٍ ثقافيٍ جديدٍ ألمت بالإنسانية وطرحت معها تساؤلات حول الوزن النسبي للإنسان في الكون، قيمته ومكانته كصانع للحضارة؟، وتساؤلات أخرى استشرافية عن أنماط الجائحات الأخرى التي سوف تنتظرها البشرية في المستقبل؟.

والحق أنه ما يزال العالم بين الحين والآخر يعانى من انتشار جائحات خطيرة «لأمراض معدية Communicable Diseases» بعضها قديم، والبعض الآخر حديث النشأة، وبتقدم السنين فإن الأمراض المُعْدِيَة تلعبُ دوراً هاماً في عرقلة الجهد البشرى المبذول لتحقيق التقدم. ولم يَعُدّ الطب هو المجال الوحيد الذي يمتلك حق تشخيص المرض بيولوجياً وعضوياً، بل إن هناك عوامل مجتمعية لعبت دوراً خطيراً في انتشار المرض وتوسيع مساحته عالمياً

(المشهداني،٢٠١٢: ٥٥١، ٥٥٣)، وأعتقد إن إهمال دراستها والتقليل من شأنها قد يؤدى إلى عواقب وخيمة. هنا نتجاوز المقاربة الطبية ونتحول صوب أفق التحليل السوسيولوجي، لقد تجسدت الحاجة الأكاديمية إذن في «علم الاجتماع الطبي Medical Sociology» لمناقشة قضايا المرض والصحة وتقديم إطار اجتماعي وثقافي يفيد في فهم وظائف المعتقدات الشعبية الطبية في مواجهة الأمراض والأوبئة (أنظر: المكاوي ، ١٩٨٢ ؛ ١٩٨٨). ويعد «علم اجتماع الجسد Sociology Of The Body» من بين الميادين الجديدة، التي يتم من خلالها استقصاء الطرق والأوجه التي يتأثر فيها الجسم أو الجسد البشري بالعوامل والمؤثرات الاجتماعية(غيدنز؛ وبيرديسال، ٢٠٠٥: ٢٢٥)، وثمة قضايا نُوقِشَت داخل أروقة «علم الاجتماع الوبائي Epidemiological Sociology» بتعبيرات اصطلاحية تسمى «المخاطر Risks»(Fabre,1998:20) تناولها «أولريش بيك Ulrich Beck»في كتابه الشهير: «مجتمع المخاطرة (٢٠٠٩م)»، إذ يرى إن الألفية الثالثة سوف تحمل لنا الكثيراً من المخاطر الناتجة عن تلك الممارسات التي تقوم بها بعض الدول الصناعية الكبرى مثل إشعاع المفاعلات النووية، والتلوث، والفيروسات التي تفتك بحياة البشرية. ومن ثم يصعب السيطرة على تلك المخاطر(بيك، ٢٠٠٩). وفي مُؤَلَّفِه:«مجتمع المخاطر العالمي (٢٠١٣م)» فَرَّقَ«بيك» بين«مجتمع المخاطرة» و«مجتمع المخاطر العالمي» والذي تنتشر في سياقه«المخاطر الطيارة» دون أن نتحكم فيها!(بيك،٢٠١٣). ومن جانبه، عَبَّرَ عالِم الاجتماع البريطاني «أنتونى غيدنز Anthony Giddens »عن المخاطر التي تحدق بعالمنا اليوم مُرَكِّزَاً على (المخاطر المُصَنَّعَة) (غيدنز؛ وبيرديسال، ٢٠٠٥: ١٤٠-١٤١). وفي كتابه:«عالَم جامح

(٢٠١٣م)» يؤكد «غيدنز» مرةً أخرى، على شيوع نمطيين من المخاطر إحداهما:«المخاطر الخارجية» التي تحدث خارج إرادة الإنسان وترتبط بالتقاليد والطبيعة (كالأوبئة)، والثانية:«المخاطر المُصَنَّعة» والتي يتدخل فيها الإنسان بإرادته وتنجم عن قصوره وقلة خبرته، وهى أشد خطراً وأعظم أثراً من المخاطر الخارجية (جيدنز،٢٠٠٣).كما اهتمت «ستانفورد Stanford» في أبحاثها بالعلاقة بين الأجسام وتحطم العالَم، ودعت إلى ضرورة بحث العوامل التي أسهمت في تحطم العالَم أولاً، وأفضت إلى تحطم أجسادنا ثانياً، وتدهور النظام البيئي ثالثاً (الزيات، ٢٠١٦: ٧٨). وفي حين أعاد المنظر الفرنسي «ميشيل فوكو Michel Foucault» الجسد مرةً أخرى إلى قلب عِلم الاجتماع مؤكداً على عمق علاقة الإنسان بجسده، وضرورة بحث عمليات عنف الحداثة وتحليل بيئة مجتمع المخاطر (أنظر: عبدالعظيم، ٢٠٠٨؛ ٢٠١٨). طَوَّرَ السوسيولوجى الفرنسي الشهير «بيير بورديو Pierre Bourdieu» بشكل ضمني «سوسيولوجيا الجسد» كجزءٍ من انشغاله العام بنظرية الممارسة Practice Theory (بزاز، ٢٠٠٧). وفي ضوء ما تقدم، يبقى «سؤال الجسد» حاضراً كأحد المحاور البحثية التحليلية الكبرى لعلمى الأنثروبولوجيا والاجتماع في الوقت الراهن (لوبرتون، ٢٠١٤؛ ١٩٩٧). ذلك أن عِلم الاجتماع لا يهتم ببناء الجسد الإنسانى أو بوظائف أعضائه أو بالعمليات العقلية في حد ذاتها، بل يهتم بما يحدث عندما يقابل إنسانٌ إنساناً (تيماشيف، ١٩٨٣: ٢٩)، هنا يخرج الأفراد عن ذواتهم، ويتركون أجسادهم ولا يجدون أنفسهم في حدود هذا الجسد الضيق، وتلك الذات المحدودة الأفق، بل في المجتمع الأكبر (زايد، ٢٠١١: ٢٩). ولست هنا في معرض الحديث عن قضايا عِلم اجتماع الجسد ومجتمع المخاطر، ولكن لَزِمْتُ الإشارة

في عجالةٍ إلى وجود أدوات تحليلية وأساليب منهجية ومقولات تفسيرية هامة داخل النسق المعرفى لعلم الاجتماع الطبي يمكن الاستعانة بها في تحليل «الجرثومة» كفاعلاً اجتماعياً ومقاربتها في إطار «سوسيولوجيا الوباء» التي تكشف عن حقيقة أن المجتمع له طبيعة وبائية خاصة به، منفصلة تماماً عن وباء كورونا.

إن إحدى النتائج الهامة المترتبة على جَعْل علم اجتماع الوباء قابلاً للتطبيق التجريبي، إنه أمكن استخدام ثلاثة أنواع من الأوبئة النفسية الاجتماعية ستمكننا من تحليل جائحة فيروس كورونا.(أ) وباء الخوف. (ب) وباء الوصم والأخلاق.(ج) وباء الفعل ورد الفعل التكيفي. ومن وجهة نظر علم الاجتماع الوبائي، فإن الشيء المثير للاهتمام حول هذه الأوبئة الثلاثة هو أن لديهم القدرة على إصابة الجميع في المجتمع تقريباً (Al-Basam , 2020) بشكل قاطع.

ويبدو في ضوء ما سبق أن المعادلة الأكثر أهمية والأشد وقعاً تكمن في «ثورة الفايروس» (صورته الدينامية الفعالة)، لأن «الفايروس» يأخذ في هذا السياق دور «الفاعل Actor» و«الإنسان دور المنفعل Passive». وبعبارةٍ أخرى، تنعكس المعادلة بين ذاتية الإنسان وموضوعية الفيروس لتتحول إلى موضوعية الإنسان وذاتية الفيروس؛ أي بمعنى: إن الإنسان قد أصبح موضوعاً للفايروس، فالفايروس يلتهم أجسادنا، يهاجمنا ويحولنا إلى مادته وموضوعه، وفي الوقت نفسه يلعبُ دوراً ذكياً، إذ يتلون ويجتهدُ ويُغَيِّرُ من هيئته، ويَخرُجُ علينا بهيآتٍ أكثر ذكاءً وقدرةً على التخفي تتمثل في إعادة نسخ نفسه بأشكالٍ خفية تتميز بالمكر والدهاء (وطفة، ٢٠٢٠).

وتبدأ رحلة البحث عن الحياة لفيروس كوررنا عبر الرذاذ من الشخص

المصاب الحامل له، ويستقر الفيروس على الأسطح الملساء وينتظر أن تلامسه يد شخص آخر، وبعدها ينتظر أن يلمس هذا الشخص أنفه أو عينه أو فمه حتى تبدأ رحلته داخل جسد هذا الشخص فيدخل الحلق. وعندها تبدأ الحرب فيُلْقِي الفيروس إعصاراً من اللعاب يحاول إجباره على دخول المعدة وليس الرئة حيث أن أحماض المِعْدَّة كفيلة بقتل هذا الفيروس، ولا يستطيع دخول الرئة ويموت. إلا أن الفيروس يتشبث بجدار الحلق من أجل امتصاص اللعاب فيسبب جفاف للحلق، وبعدها ينتظر مرور الهواء منه إلى الرئة، ويكون الهواء هو المطية التي يمتطيها الفيروس ليصل إلى الرئة، وفي تلك اللحظة تبدأ دورة حياة كورونا داخل جسم الإنسان، فيَعلم المخ بهذا الخطر، حيث يبدأ في إصدار أمره بإعلان حالة الحرب، ويبدأ الجهاز المناعي للجسم في التحرك، حيث تهاجم كرات الدم البيضاء الخلايا الفيروسية التي بدأت في الانتشار والتغلغل، وتنشب معركة شرسة بينهما، وحسب قوة مناعة المصاب تحسم المعركة لصالح الطرف الأقوى، وأنه في حالة انتصار الجهاز المناعي يتم تآكل الفيروس والتهامه وطرد نفاياته عبر الدم إلى الكلى ومنها للبول، وطرد ما بقى حياً منه عبر السعال أو العطس ليخرج للهواء الطلق باحثاً عن بيئةٍ أخرى حاضنة ومصابين جدد. أما في حالة فوز الفيروس وانتصاره على الجهاز المناعي يبدأ الجسم في معركته الأخيرة للمقاومة حيث ترتفع درجة حرارته لمحاوله وقف انتشار الفيروس التي يحتاج لدرجة حرارة معينة للتكاثر وتشكيل خلايا فيروسية جديدة، وفي حالة انهيار المناعة تماماً يلتصق البروتين الخاص بالفيروس ببروتين الحويصلات الهوائية ويسبب تلفها لتمتلئ بالماء، ثم يُصيب أنسجة الرئة ويُسبب التهابها ويشل الجهاز التنفسي حتى يتوقف عن العمل تماماً، ومن ثم تحدث الوفاة(حسب

الله، ٢٠٢٠: ١٨-٢٠).

وإذا ما استطاع الإنسان في القريب العاجل أن يجد البلسم الشافي «للكورونا»، فإن الخطر يبقى ماثلاً في الوجود، ويتمثل بأن «الكورنا» ليس إلا واحداً من ملايين الفيروسات الذكية التي تنتظر فرصتها يوماً في اجتياح أجساد البشر! والسؤال الحاسم على صدر الإنسانية هو:هل سيكون في مقدور الإنسان أن ينتصر دائما؟ والسؤال الأخطر: ماذا لو خسر الإنسان حرباً واحدة مع فايروس مستجد لا يرحم؟ (وطفة، ٢٠٢٠).

ثانياً: تجليات تحولات جائحة كورونا: القضايا المجتمعية الملحة:

ثمة جدل يسود في الأوساط المختصة حول الصيغة التي يمكن أن تتصف بها هيكلية القطبية الدولية، والنمط الذي يمكن أن تكون عليه على الصعيد المستقبلي، كما أن الجدل والخلاف ينتقل إلى الحوار حول علاقة ذلك بطبيعة سياسة القوى الفاعلة والرئيسة في النظام الدولي، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية (حسين، ٢٠١٦: ٥)، وعلاقاتها التنافسية والصراعية بالصين ذلك التنين التنموى الصاعد بقوة من الشرق.

وتنطلق الأسئلة المحورية التي تشغل اهتمام علم الاجتماع اليوم:هل ثمة تحولات اقتصادية عالمية جديدة سوف تنجم عن مرحلة ما بعد كورونا؟، هل هناك نظام عالمي جديد بصدد التَشَكُّل؟، هل تتولد سوسيولوجيا جديدة من رحم أزمة كورونا؟، ما انعكاس تحولات ما بعد كورونا على واقع المجتمعات القومية والمحلية المصرية؟.

ومن الأهمية بمكان أن نضع في اعتبارنا عند السعي للإجابة على هذه التساؤلات الملحة أنه مع ظهور أزمة كورونا يعتبر عامِل الوقت هو الأغلى

ثمناً، إذ أنه إلى الآن فإن العالَم لا يستطيع تحديد حسابات التكلفة المادية من جراء انتشار كورونا، بسبب عدم وجود وقتٍ محدد للقضاء على الفيروس فتكون جميع التوقعات الاقتصادية المستقبلية مطروحة وجميع المخاطر رهن الاعتبار(كعكي، ٢٠٢٠). أضف إلى ذلك، أنه من الصعب دائماً فهم طبيعة الأحداث والتحولات التى تقع في لحظتها الآنية والتي قد تبدوا غير مألوفة أو مُقْلِقَة للغاية، ومن ثَمَّ يصعبُ إصدارَ حكمٍ نهائيٍ عليها، وأنه ينبغى التمهل لحين تحديد ملامحها بصورة قاطعة، وتبلور معانيها بوضوح وجلاء، ومن ثَمَّ تصبح في نهاية المطاف حقيقة عينية راسخة وملموسة في الواقع المعاش يسهل التعامل معها.

ولاشك أن ديناميات التحولات المعاصرة لما بعد كورونا لا زالت تفرز قضايا بالغة الأهمية فيما تخص النظام العالمي الجديد وانعكاساته على المستوي العالمي Global والإقليمي Regional والمحلى Local. وبإمكاننا الآن رصد جانباً من ملامح معطيات الواقع المتحول وتحليلها واحتمالية تطورها في بُعدها المستقبلي على النحو الآتي:

(١): نهاية الرأسمالية النيوليبرالية وتسريع رأسمالية الرقمنة: تشير أزمة كورونا وفقاً لرؤية الاقتصادي الفرنسي «دانييل كوهين Daniel Cohen» إلى تراجع «الرأسمالية النيوليبرالية المعولمة Globalized Neoliberal Capitalism»، وتسريع رأسمالية جديدة للقرن الحادي والعشرون هي: «الرأسمالية الرقمية Digital Capitalism».

(٢): صعود الإمبراطورية الصينية كقطب أوحد بديل أو منافس للقطب الأمريكى: لقد بات هناك شبه إجماعٍ على أن المناخ الدولي المرافق للفيروس

كورونا ليس إلا مخاض لولادة نظام عالمي جديد، تباينت الآراء حول ملامحه. وفي هذا السياق، يطرح المراقبون تساؤلات عما إذا كانت الكورونا ستزحزح الولايات المتحدة عن عرشها لصالح الصين؟ (مراد، ٢٠٢٠). ووفق هذا السيناريو ستنتهى المناوشات التجارية وربما العسكرية إلى مفاوضات بين(واشنطن وبكين)، يتفقان خلالها على اقتسام قيادة العالَم مناصفةً ليعود«نظام القطبين» من جديد (الديب، ٢٠٢٠).

وكما هو موضحٌ أعلاه، يتجهُ العالَم الآن إلى نظام مختلف، وهذا يشير إلى أن شكل الهيكلية الحالية غير واضح المعالم؛ فهي في طور التكوين، وسوف تُوَلِّدُ نمطاً جديداً في الترتيب القطبى الدولى (حسين، ٢٠١٦ : ٣)، يتمثل في بروز «مجموعة البريكس» التي تتصدرها «الصين» كأقوى تكتلٍ يسعى لكسر الاحتكار الأمريكي لقيادة العالم، إذ ترجو من خلاله أن يكون سُلَّمًا لها لتَبَوُّءِ ريادة العالم (المنسي، ٢٠٢٠). ولقد هزت أزمة كورونا مكانة الولايات المتحدة«كقوة عظمى وحيدة Lonely Super Power»، لم تحاول استخدام نفوذها في التنسيق لحملات دولية لمحاربة الوباء. مما أضر بمصداقيتها تجاه حلفائها. وبرهن عن إن أميركا لا يمكنها قيادة العالم بمفردها في ظل تحديات الأوبئة وتغير المناخ (الكاكائى،٢٠٢٠)، وأن «الصين» تحاول التموقع كزعيم عالمي بديل، إزاءَ فشل الولايات المتحدة في الحرب المعلنة على كورونا، ومواقف الرئيس الأمريكي الفجة يؤهلها لهذا التموقع الجديد(على، ٢٠٢٠)، ومن هنا، عاد موضوع التنافس وحتمية الصدام بين القوتين للنقاش، اعتماداً على مقولة: «فخ ثيوسيديتس Thucydides Trap» التي طرحها «غراهام أليسون Graham Allison» وتؤكد على متلازمة «القوة الصاعدة Rising Power

Syndrome»،«الصين» التي تبحث عن تأكيد الذات –ومتلازمة «القوة الحاكمة Ruling Power Syndrome» –«الولايات المتحدة» الخائفة من تراجع مكانتها حيث ينشأ «فخ ثيوسيديتس» الذي يدفع نحو مواجهة بين القوتين لن تكون بالضرورة عسكرية، ولكن بالتركيز على صعود الصين السلمي وفقاً لمقولات «تمدد القوة Power Expansion» التي طرحها« بول كيندى Paul Kennedy» من خلال فكرة قانون التمدد الإمبراطورى الزائد عن الحد ليشرح تراجع القوى العظمى، إذ تصبح مصالحها والتزاماتها العالمية أكبر من قدرتها على الدفاع عنها في وقت متزامن، لتبدأ في الانسحاب والتخلي عنها، تاركةً فراغاً فيها، في مقابل قوى بديلة تَتَحَيَّن لحظة ملئ الفراغ لتفرض منطقها الجديد، فهل نحن بصدد لحظة الصين (بخبوش،٢٠٢٠: ٨٤–٨٥). ولِمَ لا والتجربة الصينية تُعَدُّ واحدةً من التجارب الإنسانية العملاقة في القرن الحالي، فقد تركت بصماتها القوية على مسيرة العالَم بعد أن أحدثت تحولاتٍ جذريةٍ في حياةِ شعبها، وأصبح للصين تجربتها الفريدة التي قدمت بريقاً من الأمل لدول العالم الثالث، بوصفها نموذجَ تنموي استطاع أن ينمو باستقلالية وبغير انعزالية. وتحاول أن تستكمل بناء نفسها من الناحية التكنولوجية وتحقق التحديث الاشتراكي أو ما أطلقت عليه «العصرنات الأربع Four Modernizations» (إحراز التقدم في الصناعة، والزراعة، والعلوم، والتكنولوجيا، والدفاع). وهكذا، تحاول الصين أن تشعل الشمعة من طرفيها وتجمع بين الاشتراكية والمفهوم الغربي للرأسمالية (ووبن، ١٩٩٦: ١٠).

ورغم صعوبة الجزم بأى من هذه التنبؤات، فإن الواقع الدولى ما قبل كورونا لن يكون كما بعده بكل تأكيد، فليس من المتوقع أن تؤدى أزمة كورونا إلى

حدوثِ تحولٍ من قطب إلى آخر أو إلى القطبية الثنائية. كما أن خسائر الغرب لن تتحول بشكلٍ تلقائيٍ إلى مكاسب للصين، لذلك يبدوا أن العالَم قد يتجه نحو «اللا قطبية» (باهى، ٢٠٢٠: ١٢). إذ يُبَيِّنُ الواقع العالمي؛ أنه لا الصين، ولا الولايات المتحدة ولا أي دولة أخرى، عظمى أو كبرى، بقادرة على التربع وحدها على كرسي قيادة العالَم بفعل ما فيه من نضج وتطور واشتباك مصلحي وتخادم نفعي على مختلف الأصعدة التي لا يمكن أن تنمو وتكبر وتتوسع إلا بالتعاون والتشارك العادل والمتكافئ. ومن ثم يحتاج العالَم كي يتناسب مع المستوى الذي وصل إليه، إلى قيادة عالمية مشتركة وعادلة وغير ظالمة (الساعدى، ٢٠٢٠) لمواجهة الأزمات المستقبلية.

(٣):احتمالية تفكك التكتلات الإقليمية:الإتحاد الأوروبي نموذجاً: كشفت أزمة كورونا عن محدودية دور الاتحاد الأوروبي في التعامل معها وفقًا لحدود صلاحياته، وتنحو بعض التحليلات إلى احتمال تفككه وخروج دولٍ أخرى منه. بيد أنه من المُبكر الحكم على صحة تكهنات تلك التحليلات وصِدْقِ مزاعمها.

(٤): وعي الإنسان بالانتماء المتفرد للمملكة الإنسانية والمصير الواحد: إن مملكة الإنسان تتداخل معها الممالك الحيوانية والجرثومية والنباتية وتتفاعل تفاعلاً وجودياً يحفظ الحياة وينهض بها، ولقد آثارت أزمة «كورونا» صدمة وعي كبرى لدى الإنسان بأن وجوده أضحى مهدداً بمخاطر لا حصر لها، وأن اللا متناهيات الصغرى قد تكون أعظمها بل وأشد فتكاً (وطفة، ٢٠٢٠). ولعل أجمل ما في دروس كورونا برغم الألم والخوف أنها أعادت تذكير البشر بأنهم جنس واحد، أسرة واحدة، تعيش على كوكب واحد، وحين تتألم فإنها تشعر بالألم الواحد، وفي نهاية المطاف ترفع أكفها بالدعاء والتضرع لربٍ واحد.

(٥): انحسار العقلانية وازدواجية السلوك: في سياق كورونا، لوحظ انحسار العقلانية في سلوك معظم المواطنين، من الهلع والمبالغة في شراء السلع الاستهلاكية بكميات كبيرة، خوفًا من اختفائها، و تبين أيضًا وجود ممارسات مزدوجة للسلوك الإنساني (الغيبي / الرشيد)، إذ تنامي السلوك الغيبي على حساب السلوك الرشيد، حيث يُغلَّف هذا السلوك المرضي بشيءٍ من العقلانية، تُخفي تحيزات غيرعقلانية

(٦): دورٌ فَعَّالٌ للدولةِ القوميةِ: أعطى وباء كورونا فرصةً سانحةً للدول والحكومات لإعادة إحياء دورها كحماية للمجتمع وأفراده، ففي ظل الخوف من فقدان الحياة، استسلم أغلبية الناس لإجراءات المنع والإغلاق التي اتخذتها الحكومات، والتي تم عَدُّها ضرورية للحفاظ على صحة البشر وحياتهم (هلال، ٢٠٢٠: ١٢٠-١٢١) في إطارِ ما تملكه من سلطةٍ لتنظم الحياة الاقتصادية وتقديم الخدمات الأساسية لكافة المواطنين.

(٧): أنماطٌ جديدةٌ من الوطنيةِ: في الأدب السوسيولوجي غالباً ما يتم ربط الوطنية والانتماء بحجم وعظم تضحيات فئات اجتماعية تقدم أرواحها فداء للوطن ولعل في مقدمة هؤلاء الإبطال رجال القوات المسلحة والشرطة المدنية، بيد أن أزمة كورونا قد كشفت عن معادن ثمينة أخرى تحمل في طياتها حِسَاً وطنياً وإنسانياً نبيلاً، أقصد بهم «أبطال/ وبطلات الجيش الأبيض» من أعضاء النسق الطبي، لأنهم على الخطوط الأمامية في مرمى نيران العدوى، يُضَحّون بحياتهم لإنقاذ حياتنا، ويستحقون بحق تسجيل تضحياتهم وممارساتهم الإنسانية في سجل التاريخ بأحرفٍ من نور.

(٨): تفاوت بنية المجتمعات ودرجات تحضرها الإنساني وآليات التعامل: هناك مجتمعاتٍ اعتبرت كورونا مجرد مرض لا يتطلب هذا الخوف الهستيري، وهى مجتمعاتٍ لا تُقيم وزناً للإنسان، ولا لمكانته في التاريخ، في المقابل مجتمعات تهتم بمواطنيها في المقام الأول، بل تعلن بوضوح إنَّ السلطة وظيفتها حمايتهم من أيَّة أوبئة لها طابع عمومي تُؤثِّر على الإيقاع الاجتماعي السياسي (عبدالعال، ٢٠٢٠).وهنا تباينت طرق تعاطي شعوب العالم مع تداعيات كورنا، على مستوى الوعي والسلوك، وعكست مدى تفاوت درجات تحضرها الإنساني. ففي المجتمعات المتقدمة، وخاصة الأوروبية، لوحظ الوعي والسلوك المنضبط والصارم والالتزام بإرشادات الصحية (المصطفى، ٢٠٢٠)، بخلاف الدول العربية التي أحيت النعرات وبدأت تصنف المصابين بين المقيم والوطني. ورمت الخطابات الإعلامية باتجاه أنَّ المصابين جميعهم وافدون ، بينما أهل البلاد هم أهل الصحة والمناعة والرعاية.في تمييزٍ ساخرٍ وواضحٍ، وكأن الفيروسات تفصل بين هؤلاء وأولئك!! (وطفة، ٢٠٢٠).

(٩): تباعد جسدي وتقارب اجتماعي: صار طقس «التباعد الجسدي Physical Distance» بين الأفراد كنمطٍ اجتماعيٍ فيزيقيٍ جديدٍ، وملاذاً بديلاً لمحاربة تفشى جائحة كورونا، بالحفاظ على مساحة جسدية يطلق عليها «مسافة الأمان Safety Distance» وهى تقارب «المترين» كسلوك وقائي غير مكلف لاتقاء الوباء.

ونستنتج من ذلك، أننا أمام ضرورة وجودية تستدعى منا تجاوز التصورات القائلة باستقبال الغير، والتواصل معه، لأن من شأن تلك الأفعال إن تفنى الأنا والغير معاً: ومن ثم لا غني عن توسيع المسافة بينهما عوض طيها والحفاظ

على «برانية» كل ذات في مواجهة دعوات اللقاء والحميمية و«الجوانية» التي قد تصدر من الذوات الأخرى (أنوار،٢٠٢٠: ١١)، وفي سياق«جائحة كورونا» المصحوبة بمشاعر الخوف والهلع الملازم لعدم اليقين، أمكن نعت هذه الحالة بـ«جائحة الخوف» (التير،٢٠٢٠: ٢٣)، – أو «الذعر الجرثومى Germ Panic» – والتى فى رحابها تحولنا من «العلاقات» إلى«العزلات»، حيث ظهر ذهان الخوف بين الأشخاص من انتقال الوباء والشك في أن يكون الشخص مصاباً به بالفعل. وفي وقت سابق كان الخوف من «المجهول» لكن اليوم أدخل فيروس كورونا «خوف المجهول»(Shah,2020). وفي هذا الإطار، يشير«توماس هوبز Thomas Hobbes» في «نظريته فخ هوبز Hobbs Trap Theory»: أن الخوف بين البشر يتراكم جراء الخوف، فيسعى الخائف إلى الدفاع عن نفسه بالتسلح مثلاً، فيدفع الآخر الخائف من التسلح إلى مزيد من التسلح، وهكذا دواليك، حتى يصبح الجميع عدو الجميع، وهذا ما ينطبق تماماً في زمن الجوائح (فكرى،٢٠٢٠). لقد أفرزت جائحة كورونا ظواهر متفردة، ليست فقط بما فرضته من تباعد جسدي، وإنما في تزامن هذا التباعد مع وجود مواقع التواصل الاجتماعي، التي أسهمت من جهة في الحد من الشعور بالعزلة(هاشم، ٢٠٢٠: ١٠٦).

وبناءً عليه، ثمة سؤال ورهان بالغ الحساسية يخص مستقبل البشرية –يثار من منظور علمي اجتماعي–: كيف نمارس التباعد من دون أن نضحي بالصلة الاجتماعية؟، وكيف نهاجر في اتجاهٍ بِنَاءٍ اجتماعياتنا بتمام الوعي والتصميم؟ (السعيدانى، ٢٠٢٠). من الواضح إذن أننا لا نستطيع فهم ديناميات التباعد الجسدي دون التفكير فيما وراء خبرة التقارب الاجتماعي الافتراضي والواقعي.

فإذا كانت البشرية قد استطاعت أن تحقق مفهوم «التباعد Distancing» للحد من انتشار كورونا فهي قد حققت العكس أيضاً –في الوقت نفسه–من خلال مفهوم «التقارب الافتراضي Virtual Convergence» عبر زيادة التواصل بين الأفراد من خلال الإنترنت (خليفة، ٢٠٢٠: ٤)، وعلى المستوى الواقعي فقد تم «التقارب الاجتماعيSocial Closeness» وبعث مشاعر الدفء الإنساني من جديد بتوطيد أواصر العلاقات الأسرية.

(١٠): بروز ثقافة التضامن الاجتماعي وروابط الضمير الجمعي: لُوحِظ في المرحلة الأولى من انتشار فيروس كورونا، بروز «ثقافة التضامن الاجتماعي التقليدية»، عن طريق العادات والتقاليد والعواطف المشتركة «روابط الضمير الجمعي»، وهي تعمل على إرساء طابع التكامل الاجتماعي بين الأفراد والمجتمع. حيث تستند على تكريس التوازن، وبث مشاعر الأمل.

(١١): إعادة ترتيب الأولويات وإعلاء قيمة العلم والعلماء: ما بعد كورونا سيتم تشكيل الأسبقيات وضبط الاهتمامات، ونبدأ من العلم والتعليم بتطوير نظمٍ تربويةٍ جديدة تؤهل الأجيال القادمة للتعامل مع مستجدات الحياة، وفي ذات السياق، فإن التركيز على الصحة، وسرعة التحول للرقمنة، والاهتمام بتوصيل المرافق الحيوية للمناطق الأكثر هشاشة واحتياجاً، سيصبحُ من الأولوياتِ المُلِحَّةِ.

(١٢): تكاليف تداعيات كورونا على الفقراء والمهمشون: ويقصد «بالفقراء» هنا وِفْقَاً لتحديد «عبدالشفيع» فئات اجتماعية من المجتمع الأدنى دخلاً، تعاني من انخفاض مستوى إشباع الحاجات الأساسية ومستوى الرفاهية ونوعية الحياة (عيسى، ٢٠١٩)، ويُعرَفُون «بالأرزقية»، يَتَحَصَّلُون بصعوبةٍ بالغةٍ على قوت

يومهم. وإذا ما طالت جائحة كورنا لأمدٍ طويل، فإنهم لا يستطيعون تحمّل مشقة تكاليف العزل المنزلي لخسارة دخولهم وفقد أرزاقهم. ورغم ضيق حالهم، فإنهم يتصدون وحدهم لهذا التحدّي الجسيم، بالتضحية بالجسد.

وفي محاولة لتخفيف الأثر السلبي لجائحة كورونا على واقع الفئات الأكثر احتياجاً عمدت «الحكومة المصرية»على طرح حِزمة إجراءات مستحدثة من «شبكات الأمان الاجتماعي Social Safetynets» لدعمهم ، حيث قامت «وزارة القوى العاملة» بإطلاق:«مبادرة أهالينا لدعم العمالة غير المنتظمة» بإجمالى (٢ مليون و ٣٧ ألفا و ٣٢٤ مستحقاً) لهذه المنحة التي تُصرف بواقع (٥٠٠ جنيه) لمساعدتهم على تخطى الظروف القاسية. وفي حين سعى «بيت الزكاة» لتقديم مساعدات مالية للأسر التي فَقدت عملها. كما أطلق «بنك الطعام المصري» حملة «دعم العمالة اليومية مسؤولية» لتوفير كراتين طعام كدعم غذائى، ومن جهته قام «البنك المركزي» بتأجيل كافة الاستحقاقات الائتمانية للعملاء لمدة ستة أشهر تبدأ من إبريل ٢٠٢٠م، وتبرعت «القوات المسلحة» بـ(١٠٠ مليون جنيه) لصندوق «تحيا مصر» لدعم جهود الدولة لمواجهة انتشار كورونا. وهى بلا شك جهوداً إيجابية جديرة بالثناء والتقدير، غير أنها ما زلات بحاجة ماسة إلى استدامة وتعزيز.

(١٣): الرابحون «أثرياء كورونا»: وهم الذين استغلوا الفرصة بغيابٍ من الضمير وانعدام للمسئولية في التربح، من خلال رفع أسعار المستلزمات الطبية وأدوات التعقيم والتطهير، ناهيك عن السلع الغذائية الضرورية بكافة أنواعها، في إطار ما يسمى«بثقافة الخوف وهستريا الشراء» وفي مقدمه هؤلاء المستفيدين والرابحين أصحاب: المختبرات الطبية، والمستشفيات الخاصة وقطاع تكنولوجيا

المعلومات وتطبيقاتها.

(١٤): الكورونوفوبيا: استحدثت جائحة كورونا مظاهر جديدة للعنصرية، وهى عنصرية الخوف من وباء كورونا المسماة «كورونوفوبيا Choronophobia» فظهرت عنصرية تجاه الصين التي تَفَشَّى فيها الوباء أولاً (الدسوقى، ٢٠٢٠: ٦١)، لينتشر لاحقاً في معظم دول العالم، ومن ثَمَّ تصاعدت حالات الشتم والتميز والعنف المعنوي والوصم ضد الصينيين (المرصد الأورمتوسطى لحقوق الإنسان، ٢٠٢٠: ٨). وعليه، ثَمة قراءات تفسيرية متحيزة سعت لربط بؤرة تفشى كورونا بأثنية (العرق الأصفر) ذو الملامح الآسيوية، بما لا يد لهم فيها. رغم فساد هذا الربط وعقم الاستنتاج وعدم منطقية التحليل.

(١٥): الوصم المجتمعي و« تنمر كورونا»: بتمدد رقعة انتشار فيروس كورونا بشكلٍ سريعٍ ومتزايدٍ، زادت مخاوف الناس، واتسعت معها«ظاهرة الوصم المجتمعي والتنمر لضحايا كورونا» من المصابي بالفيروس والمتوفين به وذويهم المشتبه في إصاباتهم، وامتدت ممارسات الإساءة لتصل إلى الجيش الأبيض. واتخذت المظاهر أسوأ أشكالها حينما لاحقت مراسم دفن«الموتى ضحايا كورونا»، بتجمهر الأهالي في مشهدٍ رافض دفنهم في مدافن قراهم، الأمر الذي خَلَّفَ معه آلاماً نفسيةً، وشروخاً وتصدعاتٍ في بنيان المجتمع. لقد جاء الرد الرسمي رافضاً لكل هذه الإساءات وحاسماً ورادعاً.

(١٦): تنامي التدين وتغيُّر مظاهر ممارساته: ثمة نتائج بحثية تشير إلى أن الأزمات والأوبئة تحفز تصاعدَ التدين، وتزيد من ممارسة الشعائر الدينية، أو على الأقل تعيد التفكير في دور الدين، خاصة من قبل الفئات التي لم تكن تمارس هذه الأنماط من التدين (الحفناوى، ٢٠٢٠). وفي زمن «الكورونا»، تغير

شكل تقديم الخطاب الحضاري حول الذات على مستوى النسق ألقيمي الديني بصورة معدلة من قبل حكماء الأديان السماوية.

(١٧): تعزيز النظافة والعادات الصحية السليمة: تلعب الأسرة دوراً محورياً في تعزيز التوعية لدى أبنائها بضرورة إتباع السلوكيات الصحية السليمة، حتى تصبح ثقافة يمارسونها في تعاملات حياتهم اليومية للوقاية من الأمراض. لقد أعلت كورونا من قيمة النظافة بمفهومها الشمولي في واقع الحياة اليومية، كما أن التغذية الصحية المتنوعة والمتوازنة والنوم الجيد وممارسة الرياضة عناصر أساسيةٍ أخرى تسهم في تقوية الجهاز المناعي لمجابهة جائحة كورونا.

(١٨): خريطة ايجابية لمقاومة كورونا: يقتضى الأمر تعزيز ثقافة الصمود والقدرة على المجابهة من خلال خلق حالة وعى جمعي لدى المواطن بخطورة الفيروس مما يحفز حقل الطاقة الإيجابى الساري في الجسد المجتمعي، ويزكى الإحساس بالمسئولية المشتركة لدرء هذه المخاطر ومواجهتها (أبوسويرح، ٢٠٢٠ :٨)، ويمكننا بالتحفيز والتحدي الدائم العبور إلى ضفة النجاة بقوة، ليكون في قلب الأزمة المُظلمة منبتاً لشعاع النور، وليتمكن الراغبون في تجاوز المحنة من قنص انتصارات باستبدل حياتهم الرتيبة غير الآمنة بأخرى أكثر وهجًا وإبداعًا يستحقونها كآدميين(الشافعي، ٢٠٢٠).

(١٩): مفاهيم ومصطلحات كورونية مستحدثة: في ضوء واقع كورونا تم تطوير مفاهيم ومصطلحات ومقاربات و«نظريات جديدة New Theories» تواكب «الواقع الجديد New Realities» وتحولاته وتفسر وتوصف ما يحدث بألفاظ وتعبيرات اصطلاحية موحدة ولغة حوار وتواصل مشترك حول معطيات الظاهرة تقوم بوظائف الوصف والتفسير والتنبؤ» (يونس، ٢٠٢٠: ٤). ويكفى

أن نشير في هذا السياق إلى كوكبة من المفاهيم الأتية:«جائحة Pandemic»، «كورونا Coronavirus»، «كوفيد ٢٠١٩ Coronav19»، «الكورونوفوبيا Choronophobia»،«اقتصاديات كورونا Coronanomics»، «رأسمالية كورونا Coronan Capitalism»، «الرأسمالية التاجية Coronary Capitalism»، «الواقع الكورونى الجديد New Coronavirus Realities»، «التباعد الجسدي Distance Safety»، «التباعد الاجتماعي Social Distancing»، «مسافة الأمان Distance Safety»، «أمننة كورونا Securitization Corona»، «الركود الاجتماعي Recession Social»، «الإغلاق العام General Closing»، «العزل المنزلي Home Insulation»، «الحجر الصحي Quarantine»، «حالة الطوارئCase of Emergency»، «حظر التجوال Curfew»، « تسطيح المنحنى البيانى Flattening The Curve»، «مناعة القطيع Herd Immunity»، « الصلاة في بيوتكم Praying In Your Homes»، « الصلاة في رحالكم Praying In Your Travel »، «عالم ما بعد كورونا Word Post-Corona».

(٢٠): حقول تخصصية وتنظيرات سوسيولوجية جديدة: مع فيروس كورونا المستجد، فإن تفسير هذه الظاهرة المَرَضِيَّة المتفشية في مجتمعات العالم كله، لا تبدو أنها تستطيع الاتكاء على كل ما سبق من تنظيرات سوسيولوجية في هذا الميدان (السعد، ٢٠٢٠)، الأمر الذي يدفع لغرض المقاربة الشمولية الموضوعية تطوير بدائل نظرية ملائمة، وبزوغ حقول بحثية وتخصصية سوسيولوجية جديدة مستقبلاً.

ثالثاً:حوار وجدل سوسيو اقتصادي لرأسمالية الكوارث ونيوليبرالية الوبائيات للأولوية الاقتصاد أم المجتمع في سياق تحولات جائحة كورونا:

يَنْظُرُ علماء الاجتماع إلى الاقتصاد باعتباره نسق التكيف القادر على أن يَمنح الإنسانَ سبلاً للعيشِ الكريمِ الذي يحافظ على قدرته المستمرة على العملِ والإنتاج، وتحصيل الدخل للمعيشة والحياة. فمن الواضح أن الاقتصاد من النُظم التي توثر في كافة جوانب الحياة الاجتماعية وتحدد ما يجب استهلاكه من خيرات المجتمع، وما يمكن توظيفه لتوفير شروط استمرار الإنتاج وتطويره. وتتجسد القضية المحورية التي ينبغي إدراكها هي أن الاقتصاد (بما يشتمل عليه من إنتاجٍ واستهلاكٍ وادخار، وما يرتبط به من عرضٍ وطلبٍ، ومن تضخمٍ أو تأزمٍ، ومن ازدهارٍ أو ركودٍ) يجب أن يسكن بالإنسانية؛ هدفه الأسمى سعادة الإنسان.

وفي الحقيقة، فإن الفكرة القائلة بأنه يمكن تحليل الاقتصاد بشكل مستقل عن العمليات الصحية العامة أو السياسية أو الاجتماعية –التي غالبًا ما يتم الترويج لها عبر نظرية التوازن العام – تظهر من قبل الوباء على أنها ليست مجرد هشة ولكنها خاطئة أيضاً (Reddy, 2020). وهنا يمكن القول، بأن النسق الاقتصادي لا يشكل نسقاً مستقلاً بذاته، ولكنه يرتبط بوشائج متوازنة. فدوماً ولا سبيل إلى ذلك إلا بقوة ينتجها النسق السياسي ليؤسس لتنظيم عادل لتوزيع الثروة، واستخدام رشيد للموارد. ومن ثم تصبح عملية الفهم الشامل للحياة الاجتماعية والسياسية هى مفتاح لفهم الحياة الاقتصادية كما هى مفتاح لفهم الحياة الاجتماعية الإنسانية.

ومن الجلي القول، بأن الجدل الفكري الدائر حول: أيهما يسبق الآخر

السياسة أم الاقتصاد. قد سقط أمام أهمية الصحة التي تقود العالَم الآن في سياق جائحة كورونا، هنا يُفْتَحُ المجال لطرح تساؤلات حول: هل السياسة التي تدبر شئون الجماعات السكانية تريد الحياة لأجسادهم أم تعمل على تدبير النظام المدني والاقتصادي دون أن تولى اعتبار للأجساد وللحياة؟، وهل السياسة تَتْرُك الناسَ يعيشون دون أى مبالاة لشروط الموت، فتتركهم يموتون رغم ما تبديه من شعورٍ قديم بقدسية الحياة وبضرورة احترامها؟.وهل نيوليبرالية الجوائح تعمل بمقولة: «اجعل الناس يعيشون وتتركهم يموتون» أم أنّها لا تبالي مطلقاً لا بحياتهم ولا بموتهم، إذ أن الإنسان لم يَعُدّ الشاغل الأساسي بل إن شاغِلَهم الأوحد فائض الربح؟(الرياحى،٢٠٢٠).

ومن اللافت للنظر أن أزمة الفيروس النيوليبرالي الكوروني الحالي وضع العالم أمام هشاشته وأمام استحالة استمرار الحركة داخل العالم الاجتماعي خشية العدوى والألم والموت ودفعت السياسيين إلى اتخاذ قرارات غير مسبوقة لغلق المدن وعزل الدول ودعوة الجيوش للإسناد واستخدمت عبارة الحرب في خطاب المسئولين الحكوميين، وتترافق مع كل ذلك محاولات أولية للتحليل والفهم والاستشراف. فبالرغم من الاهتمام المركز حول دور الطب والبحوث المخبرية والسريرية للتصدي للوباء وبحثاً عن علاج أو لقاح، تحتل العلوم الاجتماعية والإنسانية مكانة متزايدة لدى الجمهور الواسع، فالأمر يتعلق بانقلاب كامل لنظام العيش والعلاقات ولمعنى الحياة نفسها. والتناول السوسيولوجى للواقع هنا وكما يذهب «بورديو Bourdieu» ليس تناولاً محايداً بل هو في عمق التحولات الغائرة التى تخترق الجسد الاجتماعي برمته. وما نرصده هنا هو ضربين من التحليلات، الأول: يتناول الأزمة في كليتها كأزمة إنسانية مشتركة وجامعة ترتبط

بمسألة مشروع العولمة الرأسمالية، والثاني: يُضيءُ أكثر المناطق المخفية والمظلمة والمنسية، ويَنظر إلى الزوايا الصعبة والمميتة مقارنة بالطوبوغرافيات الكلية. ومُنْطَلَقُناً لهذه الدراسة هو إدراكنا مرحلة حاسمة وجديدة لشن حملة نقدية عميقة للخيار الليبرالي والرأسمالي الذي يحكم العالَم، وهى حملة لا بد أن تتغذى من كل ما هو محلى وخصوصي ومجهري حتى تكون قراءتنا دامغة ومجدية (حنين، ٢٠٢٠: ٧،٥).وفي خضم هذا الأفق النظري تتبلور أُطر مفاهيمية وأدوات سوسيولوجية تحليلية لتأطير التقصي المرتقب بموضوع دراستنا الشاغِل، وهذه المفاهيم هي: رأسمالية الكوارث ونيوليبرالية الوبائيات.

(١): الاقتصاد والمجتمع في سياق تحولات جائحة كورونا: محاولة للفهم السوسيولوجى في إطار مقولتي رأسمالية الكوارث ونيوليبرالية الويائيات:

ليس من الدهشة أن نرى عدداً متزايداً من الاقتصاديين يحاولون التأكيد على مسئولية الإجراءات الرأسمالية والنيوليبرالية في خلقِ أزماتِ عدم المساواة في الثروات والدخول وتعميق ظواهر التغيرات المناخية والاحتباس الحراري والتي أفضت إلى انتشار الأوبئة الفتاكة في القرن الحادي والعشرون (شحاتة، ٢٠٢٠: ٦١).

وفي خِضَّمِ انتشار جائحة كورونا ناقش مفكرين وناشطين يساريين وتقدميين علاقة الرأسمالية بالكوارث والأوبئة، ويميل العديد منهم إلى القول بأن مِثلَ هذه الأوبئة تنشأُ بسبب الاتجاهات الكامنة في نظام الإنتاج الرأسمالي، وفي حين أن هذه التدخلات تقدم بعض التحليلات النقدية المفيدة، فإنها تميلُ أيضاً إلى تقديم وجهة نظر أحادية الجانب لهذه العلاقة، والتي تأسست على ارتباكٍ أعمق بين

الطبيعة البشرية والرأسمالية المعاصرة (Reddy, 2020).

لقد عَرَّت جائحة كورونا السياسات النيوليبرالية التي عمدت منذ عقود طويلة على التأسيس «لمجتمع المخاطر» بترهل منظومات الرعاية الصحية الاجتماعية العمومية وتقليص دعمها الحكومي لصالح القطاع الخاص، وكان خيار هذا التقلص كارثياً حيث لم تستطع المستشفيات استيعاب الأعداد الكبير من المصابين، واضطر الكثير من الدول إلى بناءِ مستشفيات ميدانية والتضحية بكبار السن (غربالى،٢٠٢٠: ٨٧). وكلها تجلياتٌ تَكْشف عن عدم قدرة منظومة النيوليبرالية على قيادة العالَم إلى النجاة، حيث تعتمد الربحية وتعزيز المكاسب على حساب اعتلال صحة الإنسان، بضمور نُظم التأمين الصحي وعدم شمولها قطاعاتٌ كبيرة من المجتمع، ونتيجةً لذلك واجهَ كثيرون انتشار وباء كورونا الفيروسي وهم غير مشمولين بأى نوعٍ من الرعاية الصحية، ومن لا يملك منهم أموالاً كافية، فليس أمامه سوى الموت في قارعة الطريق أو على عتبةِ باب بيته.

وفي إطار هذه التحولات أضحت الليبرالية الغربية أمام تحدي وجودى، فمع انتشار الآثار الصحية والاقتصادية بسبب وباء كورونا عبر أرجاء العالم تنزلق الإنسانية إلى أسفل عام (٢٠٢٠م) ويتحول الشعار الشهير«لآدم سميث Adam Smith»:«دعه يعمل دعه يمر» إلى شعار مأساوى: «ابقَ في بيتك، ومُت في بيتك»(الشرقاوى،٢٠٢٠). تلك إذن هي «كورونا»، وهذا هو عالَمها المُهيب المُخيف.

وفي سياقٍ متصلٍ، يتضمن عِلم الاجتماع مقارباتٍ تفسيرية عديدة تُحَمِّل «رأسمالية الكوارث» و«نيوليبرالية الوبائيات» مسئولية ما يحدث من مخاطر وجوائح، منها ما أشار إليه «أنتوني لوينشتاين» في كتابه: «رأسمالية الكوارث»

قائلاً: لقد خَلَقَت السياسات الرأسمالية للدول الكبرى مآسي وكوارث لشعوبٍ كثيرة تحت شعار «تحقيق التنمية وتعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان والإعمال الإغاثية»، إذ أن النتائج دائماً ما كانت سلبية وبعيدة عن المخطط له، فضلاً عن إنها حاولت إطالة أمد هذه الكوارث (لوينشتاين، ٢٠١٩).فهذا الشكل من الرأسمالية الجذرية لطالما احتاج إلى الكوارث ليتطور. بل أن تلك الممارسات المتوحشة في استغلال الأزمات والكوارث، أتت تتويجاً لثلاثة عقود من الانحياز التام لعقيدة الصدمة (كلاين ، ٢٠١١ : ١١-١٢). والحق أن تفشى فيروس كورونا لهو محصلة منطقية لمظاهر التلوث والاحتباس الحراري وتغيرات المناخ وأفعال التجريف الإيكولوجي وتدمير التنوع الطبيعي التي يَسَّرَتها العولمة، وعلى الجانب الآخر تَبَنَّت عديدٌ من دراسات عِلم اجتماع الصحة والمرض والوبائيات مقارباتٍ تفسيرية تؤكد على أن من أسباب تفشي جائحة كورونا وجود علاقة واضحة بتدهور الأنظمة البيئية والتغيرات المناخية، وأن العجز عن كبح جماحها يرتبط بمسئولية الليبرالية الجديدة في تدمير الأنظمة الصحية والانشغال بالربح على حساب صحة وحياة الناس، كما فاقم انعدام المساواة -على مستوى تلقي العلاج والرعاية الطبية بين الطبقات الاجتماعية والأمم -من معاناة الملايين من البشر، ولنا أن نتخيل كم أُزْهِقَت أرواح من بين أولئك الذين تَخلَّى عنهم النظام الصحي بسبب الفيروس الليبرالي القاتل عملاً بالقانون «الداروينى» للانتقاء الطبيعي: «البقاء للأصلح».

(٢): أولوية الاقتصاد أم المجتمع في سياق تحولات جائحة كورونا:

لوُحِظَ بشكلٍ عامٍ، أن الكثيرَ من الحكومات سعت منذ بداية جائحة كورونا

إلى احتواء تفشى الوباء من خلال تدابير الإغلاق والتباعد الاجتماعي التي أدت إلى عواقب وخيمة على كافة المستويات: الصحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية حيث تمثل الخطر الأكبر في حدوث انكماش حاد في الاقتصاد القومي. ولذاً عمدت كثير من البلدان إلى إعلان خططها لإعادة دوران عجلة الاقتصاد بشكل تدريجي سواء بصورة جزئية أو كلية ، ولكنها أيضاً تتطلب مزيداً من الحذر، فلن يؤدى إنهاء هذا الإغلاق إلى عودة الحياة إلى طبيعتها كما كانت من قبل، ولكن سيكون هناك أنماطاً متباينة منها: على مستوى الأنشطة داخل الدولة الواحدة، وبين أقاليمها، أو بين بلدان العالم بعضها البعض. وليس هذا فحسب، بل تعكس تلك الاستجابات الوطنية معضلة حقيقية حول كيفية المواءمة بين إعادة التشغيل الآمن للاقتصاد والحفاظ على صحة وأرواح المواطنين معاً (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري،٢٠٢٠: ٩، ١١). وسنحاول هنا مناقشة الوضع المتناقض بين احتواء الفيروس وإعادة تشغيل الاقتصاد، ولعل هذه المفارقة محل اهتمام الفقرات التالية.

(أ): معضلة الإغلاق وقيمة الحياة أم إعادة التشغيل وإنعاش الاقتصاد: مفارقة متناقضة:

يتمثل الطابع الإشكالي في سياق أزمة جائحة كورونا في أن المجتمعات والاقتصاديات واقعة بين شقي الرحى، فاحتواء الأزمة يؤدى إلى مزيد من اتخاذ إجراءات الإغلاق، في حين أن حالة الاقتصاد لا تتحمل المزيد من الإغلاق الذي تترتب عليه نتائج اقتصادية قاسية لاسيما على الفئات الهشة في المجتمع من ناحية، والقطاعات الأكثر تأثراً من ناحية أخرى (IMF, 2020). ويتأسس

علي ذلك اعتماد معادلة جنائزية «للتكلفة والفائدة» تقارن بين أعداد الوفيات والمصابين من جَرَّاء الجائحة والخسائر الناجمة عن توقف الدورة الاقتصادية ذلك قبل المجازفة بإعادة التشغيل وإنعاش الاقتصاد.

إذ تشير إحدى التقديرات إلى أن الخسائر المحتملة لفيروس كورونا قد تصل إلى (٢.٧ تريليون دولار) في حال وصل العالم لمرحلة من التفشي الواسع للفيروس (رمضان، ٢٠٢٠: ٧١). وستكون النتيجة الحتمية معاناة إنسانية واسعة النطاق، وصدماتٍ كبرى تقع على كاهل الدول التي لا تستطيع تحملها، إذ أن الخسائر الاقتصادية لكورونا ستخلق دولاً أكثر ضعفاً، أو تفضي إلى دولٍ فاشلة، بسبب تفاقم مشكلة الديون المتزايدة، والحاجة إلى الإنفاق الحكومي لدعم العاطلين عن العمل، وتغطية تكاليف الرعاية الصحية.

وثمةَ شبه إجماعٍ بين المُنَظِّرين والمفكرين المحدثين على أن البشرية تمرُ بمنعطفٍ تاريخيٍ حاسم بسبب التهديدات الهائلة التي يُشَكِّلُها فيروس كورونا على الصحة العامة والاقتصاد والمجتمع ككل، وفي هذا السياق يَحُثُّ الاقتصادي العالمي «جوزيف ستيجليتز Joseph Stiglitz»على ضرورة تقدير الدور المهم للحكومات والسياسات العامة والقيم مرةً أخرى، باعتبارها الترياق (الدواء) لِمَا عَرَّفَه «بيك» على أنه مجتمع الآثار الجانبية (Pulignano & Marà, 2020) الذي احتضن المخاطر والأخطار.

وبطبيعة الحال، فإن الحوار والجدل الدائر بين عِلم الاجتماع والاقتصاد قد يؤدى إلى تنامي نطاق الاهتمام بفيروس كورونا، بيد أن ثمة صمتٍ قائم في ثنايا التراث البحثي المتراكم حولهما في عدم الاعتراف بمسببات الأمراض عند مقاربة علاقة البشر بالفيروسات. وهنا قد يختلف اليسار واليمين في وجهة

النظر؛ ففي حين يعتقد الأول أن المجتمع يسبق الفرد، يؤكد الثاني أن الفرد يسبق كل شيء.. ومع ذلك فإن الفيروس التاجي يوحدهم في فشلهم في تحديد موقع «أيديهم غير المرئية » (Caliskan & MacKenzie, 2020). ولا يزال يتردد صدى أحد الأقوال الشهيرة لـ«مارجريت تاتشر Margaret Thatcher»: « لا يوجد شيء اسمه المجتمع». حيث تختزل المجتمع في تجمعات من الأفراد. ووفقاً لمنظورها العالَمي فنحن مجرد أفرادٍ يفترض من كل واحدٍ منهم أن يتولى أَمْرَ نفسه. ونتيجة لذلك، تم تحويل البشر إلى متنافسين اقتصاديين، وأصبح الإنسان يبحث عن السلعة. وبهذا الإختزال، فإن التوازن الذى ينتجه السوق يشكل الصيغة الأرقى اجتماعياً. وهذا يَعني ببساطةٍ شديدة أن «السلعة تصنع الإنسان». وبناءً عليه، فَسَّرَ أنصار «التاتشرية» هذا الشعار بأنه دفاعاً عن الفردية في السوق الحر، وانتقاد الاعتماد المفرط على الدولة، غير أن جائحة كرونا دحضت هذا المعنى، بل وأكدت على أن هناك كياناً يدعى «المجتمع»، ودولةٌ قوميةٌ حارثة وحاميةٌ له.

ومن الأهمية توضيح تساؤلات جوهرية تدور في الأذهان: ما الذى يجب أن يأتي في المقام الأول: الاقتصاد أم المجتمع، الصحة العامة أم الربح، رفاهية المواطنين أم البلوتوقراطية (حُكْم الأثرياء)؟(الشرقاوي،٢٠٢٠). ونحاول هنا تنميط الفهم العام لجائحة كورنا وفقاً لخطابات رئيسية سائدة في أرجاء العالَم: ونلمح في هذا الصدد، دُوَلاً حَرِصَت على حماية البشر قبل الاقتصاد، وثانية أكدت على أهمية الاقتصاد، مع الدعوة لاتخاذ التدابير الاحترازية دون توفير أي ضمانات لتحقيق ذلك، وثالثة عمدت على إيجاد نوعٍ من التوازن، يقوم على استمرار الاقتصاد، مع اتخاذ تدابير احترازية لوقاية المجتمع(دسوقي، ٢٠٢٠).

ولـيس مـن الصـعب علينـا هنـا فهـم رأسـمالية الكـوارث ونيوليبراليـة الوبائيـات التى شكلت وحصّنت الفكرة القائلة بأن: «الاقتصاد» يسبق «المجتمع»، والآن بعد أن تطلبت أزمة الفيروس التاجي «كورونا» وضع المجتمع أولاً – يَنظُرُ إليه كثيرون من مؤيدي الرأسمالية على أنه تَوَجُّه غير منطقي ومتقلب (Komlik, 2020) ويتجلى خلافُهم وينحصر في تغليب «المصلحة الفردية» على الحق في الحياة، ومن ثَمَّ تطبيق تدابير براجماتية تُعلي من شأن الاقتصاد على قيمة الإنسان.

وينقلنا ذلك بل ويدعونا إلى تأمل وجهات النظر المؤيدة والمعارضة لأولوية حياة الإنسان على الاقتصاد، والحق أن الموقف الحكومي الرسمي المصري قد اتسم منذ بداية الأزمة بالتحيز الواضح نحو منح أولوية للحفاظ على الصحة العامة والأرواح، من منطلق أن صحة المواطن أهم شيء مهما كَلَّفَ الأمرُ من خسائر مادية، لأنه بدون إنسان معافى ليس هناك اقتصاد قائم. رغم تعالي أصوات من داخل مجتمع رجال الأعمال منتسبي رأسماليي المحاسيب تدعو بفتح الاقتصاد، مجادلين بأن الإفلاس يهدد مصر حال استمرار الإغلاق. قائلين: «تزايد عدد الإصابات والوفيات، لكن سيبقى هناك شعبٌ قائم وناقص شوية، أفضل من شعبٍ مفلس تماماً ولا يجد ما يأكله». ويبدو أن أصحاب هذا المَنْحَى لا يهتمون بموت بضعة آلاف من البشر من أجل دوران عجلة الاقتصاد بطاقتها المعتادة، لتستمر أرباحهم، حتى ولو على حساب حصاد الأرواح.

وعلى نقيض ذلك، ثمة تصورات وطنية مغايرة قدمت من قِبَلِ رجال أعمال نابعةً من واقع المسئولية الإنسانية تذهب بأن أزمة كورونا هي وقتٍ مناسبٍ للعطاء ورد الجميل للوطن، ولا يجوز أن نجور على العامل البسيط، وتؤكد على

أن «مصر أكبر من التعرض للإفلاس، فقواعدها الاقتصادية راسخةً »، وأن «عودة العمال إلى المصانع يهدد حياتهم»، وأن «أرواح العمال أثمن من أن يُضحِى بها بهذا الشكل»، وأن «أموال الدنيا لا تساوي روح عاملٍ واحد يموت وتتعرض أسرته للتشريد»، « ولا بد من الحفاظ على الشعب المصري وصحته أولاً».

(ب):حتمية التعايش الديناميكي مع كورونا:

وتاريخياً اتُبِعَت الاستجابات للأوبئة والجوائح أنماطاً عديدة، بداية من الإنكار الأولى إلى الذعر والقلق، إلى فترة من التكيف، وأخيراً إنشاء حالة «طبيعية جديدة» (هاشم، ٢٠٢٠: ١٠٨) بعودةٍ تدريجيةٍ للحياة مع اتباع إجراءاتٍ احترازية. لقد بات التعايش الراهن مع كورنا أمراً محتوماً يَفْرَضُ على الجميع (أفراداً وجماعات ومجتمعات ودولاً) أن تتعايش معها كما تعايشت في الماضي مع فيروسات وموبيأت أخرى.

وفي هذا السياق، طرحت «خطة الحماية أثناء الفتح التدريجي للأنشطة» التي أعلنها مجلس الوزراء المصري نظراً لحالة عدم اليقين حول المدى الزمني لاستمرار جائحة كورونا، الأمر الذي لا تستطيع معه أي دولة مهما بلغت قوة اقتصادها أن تتحمله، كما أنه من المستحيل إلزام المواطنين بالحجر الصحي لأمورٍ اقتصادية واجتماعية ونفسية، ولذا باتت «سياسة التعايش» النهج الذي اختارته الحكومة المصرية لمواجهة الأزمة بهدف تحقيق التوازن بين الحفاظ على صحة وحياة الناس واستمرار التشغيل لإنعاش الوضع الاقتصادي وتحسين أداء مؤشراته، والسير قدماً للحفاظ على منجزات المسيرة التنموية.

وتستند «خطة التعايش الديناميكي» بالأساس على درجة وعي المواطنين،

والامتثال الطوعي للإحترازات الصحية بصورةٍ حاسمة، وقد جاءت وفق محاورٍ رئيسية هي: تحديد اشتراطات أساسية لعمل المنشآت ووسائل النقل المختلفة، واستمرار كافة أنشطة التباعد الاجتماعي والحد من الزحام، والحفاظ على كبار السن وذوي الأمراض المزمنة، وتغطية الوجه بالكمامة، وتشجيع الاهتمام بالحالة الصحية العامة.

والخلاصة الهامة، أن « فلسفة التعايش» مع الفيروس تأمل من خلالها الحكومات في التحكم في عملية انتشار كورونا، والتدخل بشكل دقيق لتحديد أماكن العدوى وبؤرها، وعزل المرضى ومَنْ خالَطَهم، ومعالجة المصابين ومراقبة الحاملين للفيروس، وفي نفس الوقت الإرجاع التدريجى لعجلة الاقتصاد(سعيد،٢٠٢٠: ١٢٨، ١٢٩).

ومع عودة الحياة لطبيعتها بصورةٍ شبه عادية، لا شك أن تأثيرات كورونا على واقع كلاً من الصحة العامة والاقتصاد ستكون أكبر من كل التحليلات المُثَارة، ولن يكون التعافي سهلاً وسريعاً في الغالب، ومع ذلك فليس أمام الحكومات والشعوب سوى القيام بأقصى ما يستطيعان فعله للحد من تفشي الفيروس، والاستعداد للتحديات المرتقبة، في إطارٍ تعزيز الثقة وتقاسم المسئووليات، لاسيما في ظل توقع ظهور موجات سلالية كورونية متحورة جديدة قادمة.

الخاتمة والإستخلاصات العامة والخاصة والدلالات النظرية والتطبيقية للنتائج:

(١): الاستخلاصات العامة للنتائج:

لقد توصلت الدراسة إلى عدداً من الاستخلاصات العامة هي:

(أ): نستخلص أن الأوبئة ليست كلها ظواهر مرضية جائحة تتصل باعتلال الأبدان وإعادة انتاج الحياة فحسب، بل هى كذلك ظواهر اجتماعية بامتياز نظراً لتأثيراتها البارزة في بنية النسق المجتمعى بكل أبعاده المعقدة.

(ب): كشفت أزمة جائحة كورونا عن تراجع اهتمام الدول بالدراسات المستقبلية القادرة على استشراف الأزمات المحتملة، فضلاً عن عدم تفعيل منظومات الإنذار المبكر القادرة على وضع خرائط للأزمات المتوقعة وطرح سيناريوهات مستقبلية لمواجهتها، مما يعطي قوة لصانع القرار وقت المحن.

(ج): لا زالت ديناميات جائحة كورونا مستمرة «كوحشاً ضارياً»، فمنذ المرحلة الأولى للفيروس «اكتشافه» والتعامل معه، مروراً بالمرحلة الثانية «انتشاره» والتفشي المجتمعي له، يشير الواقع المعاش إلى أن مستتبعات كورونا قد بدأت ملامحها تتمظهر بالفعل، غير أن مخاطرها الحقيقية لن تتوقف عند حد عدد المتوفين والمصابين، وإنما ستتزايد تجلياتها السلبية فيما بعد مرحلة «احتوائه» بتطوير آليات الاستجابة والتعافي، والتي ستنعكس بسرعة على طبيعة التوازنات الدولية، وشكل وملامح النظام العالمي الجديد.

(د): أظهرت جائحة كورونا ضرورة إعادة النظر في الإجراءات الاقتصادية النيوليبرالية المتبعة، فالثمن في حصاد أزمة كورونا وحسابات الخسائر، قد تخطى حال الاقتصاد، وما يتصل به من أموال وأسواق وسلع ونمط وعلاقات الإنتاج، وقفز إلى تهديد حياة الناس والمجتمع، بل وتعدى إلى وجود الإنسانية

جمعاء، مما يعني أن المال لم يعد له قيمة، وأنه غير قادر على حماية حياة الأفراد والمجتمعات، من الأزمات والمخاطر المحدقة.

(هـ): وفي خضم جائحة كورونا، يكشف النظام الرأسمالي يوماً بعد يوم عن حقيقته الوحشية، ويُظهر وجهه القبيح للبشرية، كونه نظاماً لا هم له سوى مراكمة المال، وأنه في سياق هذه الظروف الحرجة، أول ما يفكر فيه هو كيفية انقاذ اقتصاده قبل انقاذ الإنسان.

(و): أماطت الدراسة اللثام عن حاجة صانعي السياسات إلى التركيز بشكلٍ مباشر على السلع الرئيسية التي ينبغي إنتاجها، وعلى النسق القيمي والأخلاقي المراد تكريسه، وعلى ملامح الإطار العام والمستدام لإنقاذ المجتمع من أزمته الراهنة، وإيجاد حلول للتشوهات العديدة التي أفرزها الفيروس التاجي.

(ز): إن جائحة كورونا كواقعة اجتماعية كلية لا يمكن تصنيفها ضمن إطار هِيجَلي «نهاية التاريخ»، ولا حتى «نهاية المجتمعات» لدى سرديات عالِم الاجتماع الفرنسي المعاصر «آلان تورين Alan Turin»، بل هي فقط استمرارية لأنماط من مشاريع النظام المالتوسي الرأسمالي بلبرياليته المعولمة. لقد أنتجت أزمة كورونا واقعاً اجتماعياً جديداً تضمن إرساءً لقواعد التباعد الاجتماعي في العلاقات الحياتية اليومية، مما أنتج تأثيراً عميقاً في البنى الاقتصادية من حيث توقف منظومة الإنتاج مصدر الاقتصاد الحقيقي، ومن ثم أصبحت الأزمة الصحية واقعاً عالمياً، يختلف عما سبقه، مما عزز منطق الفزع لدى أفراد المجتمعات الإنسانية، ولذا لا بد من تطوير استراتيجية واستجابة لمواجهة الواقع الكوروني المخيف والمُعاش بدلاً من الهروب منه، ذلك بالتسلح بالصبر وزرع الأمل والإيجابية في النفوس وبذر الثقة في العلم والعلماء كطوق للنجاة، والخروج

من المأزق المأسوي المحدق.

(ح): ولعل أهم ما أكدت عليه نتائج الدراسة الراهنة هو تنامي تعولم المحاطر والمهددات لحياة بني البشر، وعلى الأخص الوبائيات والجوائح، وهي الخبرة المستفادة من والمرتبطة بخبرات «الأجندة العالمية للتنمية المستدامة ٢٠٣٠ SDGs»: (عالَم واحد ومستقبل مشترك)، والتى تتجاوب مصر معها من خلال خطط تنموية طموحة تعطي أولوية مطلقة لصحة المواطن المصري.

(ط): يبين الرصد العلمى الاجتماعى أن نَكْب العالَم بجائحة كورونا قد يعيد معه تشكيل وعي عالَمي جديد بغايات وأبعاد حقيقة أزمة جرثومة الكورونا كفيروس قاتل وانتقالي، تستهدف الخلايا المريضة للفئات الهشة في القاع الاجتماعى ومنظومة رأس المال العالمية المتأزمة، وربما يكون تفشي هذه الجرثومة لهو إعلانٌ بذكاء عن موت كافة أشكال الرأسمالية التقليدية، وهي في نفس الوقت تبشر بانبعاثات لرأسمالية الرقمنة وثقافتها، وتعميمها لتقود العالَم في مرحلة ما بعد كورونا.

(ك): وفي ظل حالة عدم اليقين المحيطة بأزمة تفشي فيروس كورونا، فإن القضية هنا لا تكمن في كيفية تقييم أداء مواجهة تداعياتها والحد من مخاطرها، وإنما في مدى استيعاب العبر من خطاب هذه الأزمة، ومحاولة البناء عليه، بما يضمن جاهزية الدولة لمواجهة جوائح مستقبلية أخرى.

(٢): الإستخلاصات الخاصة للنتائج في ضوء تساؤلات الدراسة:

(ا): فيما يتصل بالاستخلاص الخاص بنتائج الإجابة على التساؤل الأول الفرعى المرتبط بفهم طبيعة جائحة كورونا كجرثومة ومقاربتها في ضوء أدبيات سوسيولوجيا الوباء، باعتبارها فاعلاً اجتماعياً: أبانت الدراسة أنه في ضوء الإرهاصات السوسيولوجية المبكرة بُذِلَت محاولاتٍ نظرية قَيِّمَة لفهم ارتباط الفيروسات المهدِّدة لصحة الإنسان وأمنه الاجتماعي، ذلك في سياق مفاهيم «الفعل الاجتماعي Social Act»، وفي إطار «النزعة العضوية Organicism» و«التفسيرات البيولوجية Biological Explanations». خلصت إلى أن الفيروسات تُوجد بيولوجياً كمعطى اجتماعي ثقافي حين تتعامل مع الجسد البشرى كحياة، وتتمظهر في شكل مرض/ جائحة تهدد بقاء الإنسان أينما وُجد، وتبدو المفارقة في أن الأجساد جميعها في فترة الوباء كونها أهداف للمرض لا أفضلية بينها، وإذا بها دوائر بيولوجية تنفث من حولها العدوى المميتة أو تلتقطها، ومن ثم تنقلها إلى آخرين.

(ب): فيما يختص بالاستخلاص الخاص بنتائج الإجابة على التساؤل الفرعي الثاني والمتصل بتجليات ومظاهر/ مآلات تحولات جائحة كورونا وما تفرزه من قضايا محورية ملحة واحتمالية تطورها في بعدها المستقبلى المتوقع: أظهرت الدراسة أن أزمة كورونا أفرزت مؤشرات تبرهن على هشاشة النظام العالمي الراهن وعدم قدرته على حفظ الأمن البشرى اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وصحياً، وبأن جائحة كورونا تُنذر بتنامي معالِم لا تزال تَتَخَلَّقُ ببطء من جوف الأزمة تدل على بروزِ عالمٍ جديدٍ آخذاً في التبلور على صعيد الجغرافيا السياسية

بتحول مركز الثِقَل من الغرب إلى الشرق. وهنا تتبارى التحليلات في التنبؤ بمسار الصراع الأمريكى الصيني وتحولاته الهيكلية. وفي سياقٍ متصلٍ، تؤكد الدراسة على أن جائحة كورونا سوف تعمل على إعادة هندسة العالَم، وتُؤَسِّس لتغيرات جذرية عميقة الغور في مناحى حياتنا. وهذا ما دفع «هنرى كيسنجر Henry Kissinger» بالمجادلة بقدرة كورونا على تغيير النظام العالمى حتمياً، وتوقعه بتحول «الكورونية» إلى أيدولوجية في عالم العلاقات الدولية، في حين يؤكد «آلان تورين»، بأن جائحة كورونا ستتبعها كوارث إيكولوجية ، كما ستؤدي إلى صدمة اقتصادية. وعليه، يمكن القول بأننا الآن في خضم مرحلة حياتية انتقالية وفاصلة بين عالمَين، عالَمٌ نعرفه «عالَم ما قبل كورونا»، وعالَم سنعيشه في أعقاب انتهاء الأزمة والتعافى سيكون مضطرباً ومختلفًا تماماً عماً ألفناه من قبل(نظام بريتون وودز Bretton Woods).وعموماً، تؤكد نتائج الدراسة على أن ديناميات تحولات ما بعد كورونا لازالت تفرز قضايا بالغة الأهمية على المستويات العالمية والإقليمية والمحلية. وقد أمكن للدراسة رصد جوانب تصورية لمعطيات هذه التحولات وتجلياتها المستقبلية على نحو ما سبق إيضاحه.

(ج): فيما يتصل بالاستخلاص الخاص بنتائج الإجابة على التساؤل الفرعى الثالث والخاص بمدى أولوية الاقتصاد عن المجتمع في سياق تحولات جائحة كورونا؟: في هذا الشأن، أوضحت نتائج الدراسة أن جائحة كورونا قد فرضت تحدياً غير مسبوقاً لدول العالَم بأسره، حيث برزت أهمية الصحة العامة عن الاقتصاد، وبذلك أكدت نتائج الدراسة عدم صحة فرضياتها التي طرحته، بل ودعمت فكرة أن«الاقتصاد والمجتمع» يخسران ويربحان معاً معركة جائحة كورونا.

(٣):الدلالات النظرية والتطبيقية للنتائج:

وفيما يتعلق «بالدلالات النظرية للنتائج»، فإنه إنطلاقاً من ضرورة التسلح بإطارٍ نظري وتوظيف القدرة التفسيرية للسوسيولوجيا بمقولاتها وافتراضاتها الإبستمولوجية، يحق لنا أن نتسائل عن: كيف يفكر عِلم الاجتماع في الجوائح المعاصرة، وجدوى الإسهامات الفكرية القيمة لعلماء الاجتماع المحدثون، والرعيل الأول من الآباء المؤسسون:(ابن خلدون Ibn Khaldun، إميل دور كايم Datkheim، كارل ماركس Marx، ماكس فيبر Weber، ورايت ميلز Wright Mills)،« لبناء تصور نظرىGrounded Theory Building » إزاء أزمة جائحة كورونا، من خلال استدعاء تصوراتهم النظرية ومحاولة تطبيقها في هذه اللحظة التاريخية الآنية. يشير «ابن خلدون» في مقدمته بصدد انتشار المخاطر وتأثيرها في بنية المجتمعات وسيروراتها إلى أن: كثرة الترف والمترفين يردي إلى الاستغلال المفرط للموارد وتغيير الطبيعة الأصلية للعمران، وهو الأمر الذي يؤدي إلى الشر والخروج عن دائرة الخير، ووقوع الطغيان. وربما يحاول «دوركايم» قياس استجابة المجتمع للأوبئة على أنها: «وقائع اجتماعية» يمكن إدراكها عن طريق التحليل المتعمق، هنا يرغب «دوركايم» في تحليل كيفية تفاعل مختلف شرائح المجتمع وتصرفها بأنماطٍ متباينة لمواجهة جائحة كورونا بتصور درجة ونمط من «التضامن الآلي Mechanical Solidarity» بمعنى التماثل الإنساني والتساند والتماسك الاجتماعي، وهو سلوكٌ عادةً ما يظهر بجلاءٍ وقت الأزمات، حيث يرتبط مصير الفرد بالمجتمع، وإذا ما انتقلنا إلى خطاب «كارل ماركس» فثمة افتراض لتعاطيه مع مسألتين هامتين، المسألة

الأولى: سيركز «ماركس» على الحيل التي يحاول بها «المُستغَلين» من الرأسماليين البرجوازيين أرباب الأعمال وإبقاء «المُستغِلين» من البروليتاريا في أعمالهم نظير أجر ضئيلٍ لا يكفي بالكاد متطلباتهم المعيشية. الثانية: أنه ربما يلوم «ماركس» سلفاً وباء كورونا على الزوال المتسارع للنسق الرأسمالي الإمبريالي، ومع ذلك ربما يلوم أيضاً ممارسات الرأسمالية ذاتها حيال تفشي هذا الوباء، الذي يسبب الظلم والمزيد من اللامساواة، ويوقع الضرر على الفقراء والطبقات العاملة والمهمشين، في حين أن الأغنياء من ملاك رأس المال لديهم المقدرة الميسرة للوصول لسبل العلاج والتعافي، في مقابل افتقار الفقراء إلى ذلك، ومن ثم سيعانون أكثر، لأنهم سيكونون الأكثر عرضة للإصابة بالمرض، وأقلهم قدرة على الحصول على فرص العلاج. أما «ماكس فيبر» فقد ينطلق من مقاربة مقولة «القوى العقلانية» وقلة البصيرة التي جعلت من جائحة كورونا أسوا في معالجتها في أماكن معينة من حيث تزايد أعداد الوفيات والمصابين والمعرضين للعدوى، والأفراد حاملي الفيروس والمتنقلين به، وأفضل حالاً بالنسبة لأماكن أخرى من حيث الانخفاض والتراجع، وذلك وفقاً لمدى الاستجابات «البيروقراطية» وكفاءتها، لدعم المجتمعات الإنسانية وقت وقوع الأزمات والجوائح، كما أن «ماكس فيبر» قد يتساءل مرةً أخرى عن كيفية تقديم تحليل مقارن بين نفس النوع من الأحداث خلال فتراتٍ تاريخية متفاوتة على اعتبار أن الأمراض والأوبئة ظواهر اجتماعية يمكن فهمها من خلال سياقاتها الاجتماعية والتاريخية.

ولعلنا نلمح بوضوح مقولة:«الخيال السوسيولوجي The Sociological Imagination» والتي طالما جذبت اهتمام «رايت ميلز» والتي يمكن استدعائها

هنا لفهم جائحة كورونا وتتلخص مضمونها في عبارة موجزة ما معناه: إن مشكلتك الشخصية التي تعانى منها لا يمكن حلها أو استيعابها إلا إذا نظرت إليها في سياقها الكلى، أي إنك لن تفهمها قط، إلا إذا كانت لديك القدرة على إدراكها بوصفها مسألة اجتماعية وليست مجرد مشكلة فردية. فأنت في نهاية المطاف صنيعة تاريخ اجتماعي عام. ومشكلاتك لا يمكن حلها، أو حتى فهمها دون إدراك لمشكلات الآخرين، ليس في محيطك المباشر ولا في مجتمعك المحلى فحسب ولكن في الإطار العالمي (أحمد(تقديم)،٢٠٢٠:٤). وفي ذلك مطالبة صريحة لعلماء الاجتماع وآخرون بضرورة تأمل العصر الفكري الذى يعيشون في سياقه، والوقوف على أهم المشكلات التي يعانى منها الإنسان، والإسهام بدور حقيقي في إقامة مجتمع إنساني حر(الحسيني،١٩٨٢:٢٠٢)، انطلاقاً من إن حياة الفرد أو تاريخ المجتمع لا يمكن فهم أي منهما دون فهم الآخر والعلاقة التي تربط بينهما. فإذا كان الأفراد لا يملكون القدرة على فهم العلاقة بين الإنسان والمجتمع، أو بين تاريخ الإنسان وتاريخ المجتمع، أو بين الذات والعالَم المحيط بها، فأنهم بحاجة إلى مهارات (قدرات عقلية) «خيال سوسيولوجى» لفهم ما يدور حولهم وما سوف يحدث لهم من تأثر بهذا العالم (زايد،١٩٨١:٢٦٧). ومن هنا ينبغي الحصول على وعي «خيال اجتماعي» لمعرفة جدوى اختياراتنا وأفعالنا الفردية وتفضيلاتنا الخروج أم البقاء في المنزل، وغسل أيدينا تماماً أم لا، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام الاجتماعي الأوسع، وبالأشخاص المهمين بالنسبة لنا (Gavin,2020)، ونخشى على حياتهم من الفناء والعدم، بالتقاط عدوى الفيروس التاجي، ومن ثم نقله وتداوله إلى الآخرين.

وتأسيساً على تداعيات جائحة كورونا عادت إلى الظهور أشكال «المالتوسية

الجديدة والدارونية الاجتماعية» القائمين على الحرب، والبقاء الأقوى، فالفقراء فضلة زائدة عن اللزوم، ولا سيما في البلدان النامية، والحل الغربي الأبسط هو حذفهم من الوجود، كما جاء في وثائقهم وتصريحاتهم ووقائعهم (ملوحي، ٢٠٢٠ : ١٢)، فالأوبئة تعيد التوازن بين المقدرات الطبيعية وعدد أفواه البشر المستهلكة. وما نأمله ألا تنجح جائحة كورونا في تزكية نظرية مالتوس من حيث خطورة انتشار العدوى وانتقالها بمتوالية هندسية، وأن تخرج البشرية بأقل الخسائر الممكنة.

ولاشك في أن الاستئتارة بتجليات تصورات تلك المقاربات السوسيولوجية النظرية الفعالة تفيد في تفكيك ظاهرة جائحة كورونا وفهم متغيراتها النسبية المرتبطة:(الجسد، والثقافة، والسلطة، والاقتصاد، والمجتمع).

وفيما يخص «الدلالات التطبيقية للنتائج» من المهم تطوير قدراتنا لمواجهة مثل تلك الأزمات عن طريق رفع كفاءة المنظومة الصحية في مصر، بمراجعة السياسات الصحية الوقائية، واستكمال منظومة التأمين الصحي الشامل، وإنشاء وحدات للرعاية الصحة الأولية لفرض أي خطط علاجية ووقائية، واستخدامها في الترصد الوقائي، ودعم قدرات العاملين والطواقم الطبية، وتدريبهم على كيفية التعامل مع الجوائح وإدارة الأزمات الوبائية والتكيف مع الطوارئ، وأيضاً زيادة الاستثمارات في تطوير لقاحات الوقاية من الفيروسات الجديدة، وتسريع عملية إنتاج الأمصال المضادة لها بتطوير القدرة العلمية والمختبرية والجاهزية لمواجهة تحديات هذا النوع، وأولوية الإنفاق الصحي وعلاقته بالعدالة الاجتماعية، وتبدو الحاجة ماسة إلى ضرورة صياغة وإصدار تشريعٍ جديد للأمراض المعدية في مصر، يكون بديلاً للقانون رقم (١٣٧) لسنة ١٩٥٨ والصادر بشأن الاحتياجات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية. والمهمة هنا ملقاة على عاتق مجلس

النواب، ويظل من الضروري أيضاً تعزيز القدرات الوطنية للحد من المخاطر المجتمعية للجوائح، والتركيز على إنشاء مركز طبي وطني للتنبؤ بالأمراض المعدية، كما يقتضي الأمر كذلك إثراء ثقافة صمود المجتمعات وبناء قدراتها على المجابهة بخلق وعي جمعي حقيقي بالمخاطر ودعم الإحساس بالمسؤولية المشتركة، وترسيخ دعائم الثقة بين المواطنين والدولة لدرء هذه المخاطر ومجابهتها عبر تفعيل أدوار منظمات المجتمع المدني في تطوير خطط الاستعداد والاستجابة والتعافي، ودعم المؤسسات البحثية كشرط ضرورى لتحقيق القدرة على اتخاذ القرار وقت الأزمات والطوارئ. ولحين توافر لقاح آمن وفعال مجاني لكافة المواطنين يسمح بعودة الحياة إلى طبيعتها، نحتاج إلى جهود طموحة لـتَعَلُّم كيفية التعايش وتَكَيّف الاحتياجات الإنسانية مع تداعيات هذه الجائحة لفترة طويلة قادمة، وتلك مسؤولياتنا جميعاً أفرادٍ ومجتمعاتٍ ودولٍ. وبمجرد انحسار تلك الأزمة يجب أن تسرع الدولة المصرية ممثلة في وزارة التضامن الاجتماعي في تعزيز شبكات الحماية الاجتماعية القائمة لجعلها أكثر استجابة للصدمات المستقبلية، ومن المهم الاستعداد الجيد والتحضير لاستقبال مرحلة ما بعد الوباء، ولاسيما من قِبَل الأكاديميين ومنظمات المجتمع المدني، وصانعي السياسات العامة لتحويل أزمة ومحنة كورونا إلى منحة وفرصة حقيقية لصناعة التغير نحو الأفضل، وبالتالي علينا من الآن أن نقرر في أي اتجاه سنذهب، وما نأمله أن تتحرر البشرية من فيروس الرأسمالية لتتحول بعدها لمواجهة أهوال الطبيعة التي خنقها ودمرها النظام الرأسمالي ذاته وهددها بالفناء، كما فعل مع بني البشر.

وفي ختام هذه المناقشة ربما جاز لنا أن نقترح أجندة مستقبلية بأهم الأولويات

البحثية السوسيولوجية على النحو التالي: من المؤكد أن جائحة كورونا بحاجةٍ ماسةٍ إلى عشراتٍ من البحوث السوسيولوجية المتنوعة والمتداخلة مع الفكر العابر للتخصصات البينية، ويمكن أن يُشَكِّل «الحجر الصحي والعزل المنزلي» حقلاً سوسيولوجياً خصباً لطرح أسئلةً جديدةً لواقعٍ استثنائيٍ تراكمت خبراته المعرفية من خلال دراسات (مونوجرافية) لتجارب فردية وجماعية، ومن الضروري أيضاً فَهْم «منظومة العلاقات الاجتماعية»، والتي لعبت دوراً في حماية المجتمع في مرحلة أزمة كورونا، ويتعين إجراء دراسات لرصد وتقييم «تجارب التعليم عن بُعد».وكلها نقاطٍ بحثية ملحة تحتاج إلى مزيدٍ من الدراسات المتخصصةٍ والمسوحٍ الميدانية، نأمل أن تنجزها الجامعات ومراكز البحث العلمي الاجتماعي في مصر.

قائمة المراجع :

١- أبوسويرح، لونا(٢٠٢٠). الدول العربية وإدارة الأزمات..أزمة كورونا نموذجا.*الملف المصرى*،(٦٩): ٥-٨.

٢- أحمد، سمير نعيم (١٩٨٦). (تقديم)، رايت ميلز: *الخيال العلمى الاجتماعى*،(ترجمة) عبدالباسط عبدالمعطى، وعادل مختار الهوارى، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٣- أنوار، حمادي(٢٠٢٠). بعيدًا عني: كورونا ومشكلة العيش المشترك.*مركز نماء للبحوث والدراسات* : المملكة العربية السعودية.

٤- باهى، ريهام (٢٠٢٠). أزمة كورونا وتعميق التحولات الدولية الجارية، *الملف المصرى*،(٦٩):٩-١٢.

٥- بخبوش، مصطفى (٢٠٢٠).إنعكاسات أزمة كورونا الحديثة في العلوم السياسية، في: أسماء حسن ملكوى وآخرون، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية. قطر:جامعة قطر، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

٦- بزاز، عبدالكريم(٢٠٠٧). علم اجتماع بيار بورديو،(رسالة لنيل شهادة دكتواره العلوم)، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى،جامعة منتورى قسطنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا.

٧- بيك، أولريش (٢٠٠٩). *مجتمع المخاطرة، (*ترجمة جورج كثورة وإلهام الشعراني). بيروت: المكتبة الشرقية.

٨- بيك، أولريش (٢٠١٣).*مجتمع المخاطر العالمي بحثاً عن الأمان المفقود*، (ترجمة علا عادل، هند إبراهيم، بسنت حسن). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

٩- التير، مصطفى عمر (٢٠٢٠).أسئلة بحثية تطرحها جائحة كورونا على علماء الاجتماع، في: أسماء حسن ملكوى وآخرون، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية. قطر: جامعة قطر، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعي.

١٠- تيماشيف، نيقولا (١٩٨٣).*نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها*،(ترجمة محمود عودة وآخرون، مراجعة عاطف غيث). القاهرة: دار المعارف.

١١-جمهورية مصر العربية، مجلس الوزراء، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري(٢٠٢٠). *كوفيد١٩ إعادة تشغيل الاقتصاد: رؤى وخبرات دولية*.(١) : ١ -١٥٢.

١٢-جيدنز، أنطونى (٢٠٠٣). *عالم جامح: كيف تعيد العولمة تشكيل* حياتنا،(ترجمة عباس خضير كاظم، وحسن ناظم). بيروت:المركز الثقافي.

١٣- حسب الله، صلاح (٢٠٢٠). *العالم بعد جائحة كورونا* . القاهرة: دار مصر للنشر والتوزيع.

١٤-حسين، حيدرعلى (٢٠١٦). رؤية مستقبلية لتحولات القطبية الدولية.*مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية*،(٤٣): ١-٢٨.

١٥-الحفناوى، هالة (٢٠٢٠).سيكولوجيا الأوبئة: ماذا يحدث للمجتمعات عند تعرضها لوباء مفاجئ؟ *المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة*.

١٧- الحسينى، السيد (١٩٨٢). *نحو نظرية اجتماعية نقدية*، القاهرة: دار المعارف.

١٧-حنين، ماهر(٢٠٢٠). سوسيولوجيا الهامش فى زمن كورونا: الخوف – الهشاشة – الانتظارات.تونس: المنتدى التونسى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

١٨-خليفة، إيهاب (٢٠٢٠). كيف تُغَيِّرُالتكنولوجيا إدارة الحياة اليومية خلال أزمة كورونا؟ . *دراسات خاصة*، (٣):١-٢٠.

١٩-الدسوقى، أبوبكر (٢٠٢٠). العالَم في ظل كورونا.الفرص والتحديات.*السياسة الدولية*،(٣٢١):٦٠-٦١.

٢٠-دسوقى، نفيسة (٢٠٢٠، مايو ١٠).مابعد كورونا..الأولوية للبشر أم للاقتصاد؟ للعدالة أم للنمو الاقتصادى. *أصوات أونلاين*. https://tinyurl.com/yxhyqgum

٢١-الديب، أبوبكر (٢٠٢٠، ابريل ٦). العالم ما بعد كورونا.. طريق ثالث للاقتصاد بين الرأسمالية والاشتراكية .. عودة نظام القطبين.. وازدهار المنطقة العربية أهم السيناريوهات.البوابة.
https://www.albawabhnews.com/3967267

٢٢-رمضان،محمد (٢٠٢٠). وباء كورونا وأسئلة الاقتصاد في الدول النامية.*مجلة الديمقراطية*،(٧٨):٧٠-٧٦.

٢٣-الرياحى، نعيمة (٢٠٢٠، ابريل ١٦).الثانتو –سياسة أو الليبرالية في آخرأطوارها . *الحوار المتمدن*، (٦٥٣٩). http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=673522(٢٠٢٠/٤/١٦م)

٢٤- زايد، أحمد(١٩٨١). *علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية*، القاهرة: دار المعارف.

٢٥-زايد، أحمد (٢٠١١). *الاستثمار الاجتماعى: مقاربة سوسيولوجية للمفهوم*.أعمال المؤتمر السنوى الثالث عشر «الاستثمار الاجتماعى ومستقبل مصر». القاهرة : المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

٢٦-الزيات، علا عبدالمنعم (٢٠١٦). مجتمع المخاطر والساعات البيولوجية للجسد: دراسة ميدانية على عينة من المصريين، *إضافات*،(٣٥): ٧٧-١٠٤.

٢٧-السعد، حسام(٢٠٢٠، مارس ٣١). سؤال السوسيولوجيا في زمن الوباء. *القدس العربي*.
https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:YUOvnjvhotIJ:https://www.alquds.co.uk

٢٨-السعيدانى، منير(٢٠٢٠). ثالثوث مستقبل التغيير:الجائحة والرعاية والعدالة. *مجلة الديمقراطية*،(٧٩):٢٩-٤٦.

٢٩-السعيدانى، منير(٢٠٢٠، مارس ١٤). فيروس الكورونا في مختبرعلم الاجتماع .موقع أكاديمية ٢٠٢٠.

٣٠-الشافعي، شريف (٢٠٢٠، مارس ١٩). عش في خطر...هل ينزل كورنا إنسان نيتشه من عليائه؟
https://www.almodon.com/culture/2020/3/19

٣١-سعيد، عبد المنعم (٢٠٢٠). *العالم مابعد كورونا*: القاهرة، دار أخبار اليوم.

٣٢-الشرقاوى، محمد(٢٠٢٠، مارس ٢٣). التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية، (الجزء الأول)، مركز الجزيرة للدراسات.

xT86lJ:https://studies.aljazeera.net/ar/article/4611+&cd=1&hl=en&ct=clnk&gl=eg

٣٣-طربية، مأمون (٢٠١١).علم الاجتماع في الحياة اليومية: قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة.لبنان: دار المعرفة للطبع والنشر والتوزيع.

٣٤-عبدالعال، سامى (٢٠٢٠، مارس ١٧). الفيروسات وإدارة الحياة، *الحوار المتمدن*، (٦٥٢٤) http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=669061

٣٥-عبدالعظيم، حسنى إبراهيم (٢٠٠٨). الجسد والسلطة والمعرفة: دراسة تحليلية لإسهام ميشيل فوكو في تأسيس سوسيولوجيا الجسد. *مجلة كلية الآداب جامعة بني سويف*، (١٢):٢٠٣-٢٥٥.

٣٦-عبدالعظيم، حسنى إبراهيم (٢٠١٨). علم الاجتماع والنظرية السوسيولوجية: لـ«وليم كوكرهام وجراهام سكابلر». *التعريب*، ٧، (٥٤): ١٧٣-٢٠٥.

٣٧-عبدالنور، إبراهيم (١٩٩٧).علم الوبائيات: مصطلحاً وتاريخاً وتطبيقاً. *التعريب*، ٧، (١٣): ٢٩-٣٦.

٣٨-علوط، عمر (٢٠٢٠). المستقبل والدراسات المستقبلية في علم الاجتماع: آفاق تجسيرمعرفي ومنهجي. *مجلة استشراف الدراسات المستقبلية*، (٢): ١٩٣-٢٢٠.

٣٩-علي، سيد حسنى (2020، ابريل ٤). إفلاس النظام العالمي في مواجهة كورونا وسيناريوهات ما بعد كورونا. https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2020/04/04/518163.html

٤٠-عيسى، محمد عبدالشفيع (٢٠١٩، نوفمبر١٩). الفقر ملكاً..وظالماً مظلوماً!. *الشروق*.

https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=19112019&id=b657471b-6d62-4a54-88a3-802d3dede914

٤١-غدنز، أنتوني؛وبيرديسال، كارين (٢٠٠٥).*علم الاجتماع:(مع مداخلات عربية)*،(ترجمة وتقديم فايز الصباغ). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

٤٢-غربالى، فؤاد (٢٠٢٠). السياسة الصحية تحت وطأة كورونا: مكامن الخلل من زاوية الحق في الصحة«دراسة للحالة التونسية».*مجلة الديمقراطية*، (٧٩): ٨٧-٩٣.

٤٣-فكري، داليا (٢٠٢٠). الهلع الجماعى VSاللامبالاة.https://www.nosaed.com/2020/04/18

٤٤-كلاين ، نعومى(٢٠١١).عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوراث، (ترجمة نادين خورى، مراجعة فؤاد زعيتر) . بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

٤٥-كابان، فليب؛ ودورتيه، جان فرانسوا (٢٠٠١).*علم الاجتماع:من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، إعلام وتواريخ وتيارات*، (ترجمةإياس حسنسورية). دمشق: دار الفرقد.

٤٦- كعكى، أريج (٢٠٢٠، مارس٢١).اقتصادما بعد كورونا.

٤٧- لوبرتون، دافيد (١٩٩٧). *انثروبولوجيا الجسد والحداثة، (*ترجمة محمد عرب صاصيلا). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٤٨- لوبرتون، دافيد (٢٠١٤) .*سوسيولوجيا الجسد، (*ترجمة عياد أبلال وإدريس المحمدي). القاهرة: روافد للنشر والتوزيع.

٤٩- لوينشتاين،أنتونى (٢٠١٩).*رأسمالية الكوارث : كيف تجنى الحكومات والشركات العالمية أرباحا طائلة من ويلات الحروب ومصائب البشرية*، (ترجمة أحمدعبدالحميد).الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٥٠- مراد، حسن (2020، أبريل ٣).الكورونا إن أفضت إلى نظام عالمي جديد https://www.almodon.com/media/2020/4/3

٥١-المصطفى، طلال (٢٠٢٠، مارس ٢٢٥).بعض من سوسيولوجيا كورونا .*مركز حرمون للدراسات المعاصرة*. https://www.harmoon.org/opinions

٥٢- المرصد الأورمتوسطى لحقوق الإنسان(٢٠٢٠).*كورونافوبيا، سلوك وممارسات نتاج ضعف سياسات رسمية*. جنيف: سويسرا.

٥٣-المشهدانى، عبدالفتاح محمد (٢٠١٢). الوبائيات Epidemics: دراسة سوسيولوجية في انتشار الأمراض. *مجلة جامعة تكريت للعلوم*، ١٩، (٤): ٢٩-٣٦.

٥٤-المكاوي، على محمد (١٩٨٢). *المعتقدات الشعبية والتغير الاجتماعي مع دراسة ميدانية على قرية سيف الدين بمحافظة دمياط*. (رسالة ماجستير. غير منشورة)، قسم الاجتماع كلية الآداب جامعة القاهرة، القاهرة .

٥٥-المكاوي، على محمد (١٩٨٨). *الجوانب الاجتماعية والثقافية للخدمة الصحية: دراسة ميدانية في علم الاجتماع الطبي*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٥٦-المنسي، إسلام (٢٠١٨، يولية ٢٦).نظام عالمي جديد تبنيه الصين في الظل: تعرف إلى أركانه*إضاءات*. https://www.ida2at.com/a-new-global-system-built-by-china-in-the-shadows

٥٧-منظمة الصحة العالمية(٢٠١٩). جائحة فيروس كورونا (كوفيد ١٩). https://www.who.int/ar

٥٨-ملوحى، ناصر محى الدين (٢٠٢٠). *فيروس كورونا : طاعون العصر صناعة راسمالية شيوعية صهيونية، سلمية* ، سورية : دار الغسق للنشر.

٥٩- نبيلة، خبرارة (٢٠٢٠، ديسمبر). السلوك الانساني في ظل الجوائح: جائحة فيروس كورونا المستجد بالجزائر نموذجا، الجزائر: *مجلة قبس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية*، ٤ ، (٢): ٦٣٣-٦٥٦.

٦٠- هاشم، عزة(٢٠٢٠).جائحة كورونا وتعزيز الاهتمام بالأبعاد النفسية والإنسانية للعلاقات الدولية. *السياسة الدولية*، (٣٢١):١٠٦-١١١.

٦١- هلال، على الدين(٢٠٢٠). إحياء دور الدولة في زمن كورونا.*السياسة الدولية*، (٣٢١):١٢٠-١٢٣.

٦٢- وطفة، على أسعد(٢٠٢٠، مارس ٢١). من مركزية الإنسان إلى هاشميته في زمن الكورونا؛ الهوية الحضارية للإنسان في مواجهة الكارثة! *مؤمنون بلاحدود للدراسات والأبحاث*.
https://www.mominoun.com/articles

٦٣-ووبن(١٩٩٦). *الصينيون المعاصرون، الجزء الأول: التقدم نحو المستقبل انطلاقاً من الماضي*، (ترجمة عبدالعزيز حمدي، مراجعة لى تشين تشونج). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٦٤-يونس، محمد عبدالله (٢٠٢٠). كيف ترسم المفاهيم المتداولة ملامح «عالم ما بعد كورونا»؟ *دراسات خاصة*،(٢): ١-١٩.

65- Al-Basam, D. (2020, March 21). The coronavirus:Sociology of a pandemic. https://m.gulf-times.com/story/658925/The-co Sociology-of-a-pandemic? fbclid=IwAR0G98A8n7MO8TF4gXXYuV1D3LJNpJ8e73J4-pjO9ROMnNTBk0JFkueOs2M

66- Caliskan K& MacKenzie D. (2020 April 15) Of viruses and men:The dangerous pandemic in the social s https://www.eurozine.com/of-viruses-and-men.

67- Fabre, G. (1998). Épidémies et contagions L'imaginaire du mal en Occident , Presses Universitaires de France.

68- Filho, A. S. (2020). Coronavirus, Crisis and The End of neoliberalism, Medium. http://ppesydney.net/coronavirus-crisis and-the-end-of-iberalism

69- Gavin, Nina (2020). Sociology,System thinking and Coronavirus , Medium. https://icecreates.com/blog/sociology-system-thinking-and-coronavirus.

70- IMF(2020) .World Economic Outlook, April.

71- Komlik, O. (2020, March 10). Neoliberalism, Varieties of Capitalism, and Coronavirus, Medium, https://economicsociology.org/2020/03/10/bb-neoliberalism-and-coronavirus-pandemics-and-markets-in-history-reviews-of-pikettys-ital-and-ideology/)

72- Latour,B, &Woolgar, S. (1969). La vie de Laboratoire: la Production des faits Scientifiques, a Découverte, La Découverte, Paris,1996.

73- Pulignano, V. & Marà , C. (2020). The coronavirus, social bonds and the 'crisis society,Medium. https://www.socialeurope.eu/the-coronavirus-social-bonds-and-the-crisis-society

74- Reddy, S. G. (2020). Coronavirus and the Limits of Economics:Why standard economic theories have no answers for this kind of crisis. https://foreignpolicy.com/2020/03/31/coronavirus-pandemic-rethinking-economics/

75- Shah, A. R. (2020). Covid 19 Pandemic: Biology versus Sociology, Medium. https://www.greaterkashmir.com/news/opinion.

Corona Virus pandemic transformations and their societal impact :A Theoretical Approach for Disasters Capitalism and Epidemic Neoliberalism

Abstract

The present study stems from a “theoretical approach to disaster capitalism.” And Epidemic Neoliberalism . ” Its central concern is determined in a survey of an intellectual axiom and an analytical saying: Which is the priority, and what should come in the first place: "the economy or society?" In the context of "the transformations of the Corona Virus pandemic and its societal impact." As it attempts to explore the features of that, It coordinats between the two concerned equations: «Social Health Equation and the Monetary Economical Equation» and converges the microbe as a social actor .this study is based on several methodologies as the Forecasting Method, and the Re-Analysis Approach based on the Secondary Analysis for data from relevant previous studies concerned with the Corona Pandemic. In general, the findings of this study confirms untruthfulness of its hypotheses as Corona Virus Pandemic has proven the priority of society and humans’ life above economy and profits considerations .Conclusion :Both «economy and society» win or lose together the disaster of Corona Virus Pandemic for its challenges and transformations.

Keywords: Corona Virus Pandemic Transformations, societal impact ,Disaster Capitalism, Epidemics Neoliberalism.